مجلة
روايات أحلام
٣

أرحل وحدي

www.elromancia.com

مرمورية

مجلة روايات أحلام

زواج مع وقف التنفيذ. إنه الزواج الذي جمع ويلما ومارتن.

«ويلما» الباحثة الاجتماعية تعتقد أن الحب هو مجرد رغبة جسدية لا يصمد امام اختبارات الزمن. لكنها تزوجت بضغط ظروف اختها الخائفة على زوجها منها.

مارتن المهندس الزراعي، أرمل محبط وأب لطفلين. فقد الثقة بالنساء وبالحب، لكنه تزوج لتوفير الرعاية لولديه...

فهل ينجح زواج تحكمه قوانين الإحباط والكراهية؟ هل تفشل نظرية «ويلما» فتغرق في حب لا يد لها فيه ام تحاربه وتهرب؟

وهل يتمسك مارتن بعالمه الزجاجي الأسود؟

www.elroiaalmagazine.com

١ ـ رغماً عني...!

يا إلهي! كيف لي أن أنهي البحث الجديد مع كل هذه المقاطعة؟ إنها المرة الخامسة يرن فيها الهاتف هذا الصباح... تساءلت ويلما بإحباط، وتذكرت وهي تمسك السّماعة نصيحة اختها لها بضرورة استخدام سكرتيرة، فبعد نشر كتابين لها في حقل اختصاصها أصبحت تدعى بانتظام لتتحدث في الحلقات الدراسية وفي الجامعات. عليها أن تخفّض من هذه النشاطات، فلم يبق أمامها سوى ثلاثة أشهر كحد أقصى لإنجاز كتابها الثالث وتقديمه إلى دار النشر.

وسمعت صوت أختها على الطرف الآخر من الهاتف:

ـ ويلي... أرجوك... يجب أن تساعديني... لم أعد استطيع التحمل. دايفد يتصرف بشكل غريب. أنا واثقة أن هناك امرأة غيري... إنه غير مهتم بي...

شعور غير عادي من الشفقة والثورة راود ويلما... فهي لم ترد أبداً أن تتزوج شقيقتها الكبرى من روجر ديكس، فقد عرفته منذ البداية ذلك الضعيف الفارغ الذي سوف يتعب بسرعة من حب شقيقتها ويبدأ بالزوغان!

ولكن ما لم تفكر به على الإطلاق أن يكون زوغانه باتجاهها!

كانت تستمع إلى شكوى شقيقتها باذن واحدة فيما هي «تخربش» على ورقة أمامها وازدادت تقطيبتها عمقاً عندما أدركت أنها ترسم شكلاً «كاريكاتوريا» لصهرها الوسيم اللعوب. وبغضب شطبت الرسم. إنها تكره هذا الرجل، وتجده فارغاً. إن غضبها منه يوشك أن ينفجر في يوم ما، ولكنها حتى الآن تمكنت من ضبط أعصابها لأجل شقيقتها فقط التي أحبت روجر بجنون خلال أيام دراستها الجامعية عندما كانت تلميذته، وعرفت ويلما يومذاك أن ما جذبه نحو شقيقتها ليس جمالها ورشاقتها ونعومتها فقط بل المبلغ المحترم الذي ورثتاه عن أبيهما، ولطالما كان لروجر احترام كبير للمال ولكل الراحة التي يمكن أن يوفرها.

اشترت روزي المنزل الكبير ذا الغرف الخمس الذي يعيشان فيه في المنطقة الأفضل من المدينة، واستثماراتها هي التي وفرت المال لشراء سيارة المرسيدس الفخمة منذ سنتين، ومصاريف المدرسة الخاصة لابنهما جوزف، ولكن كان من الصعب على ويلما أن تكشف لشقيقتها حقيقة زوجها.

منذ اللحظة التي بدأ كتابها الأول يتبوأ مرتبة النجاح. بدأ روجر بازعاجها. في البداية وجدت تصرفاته وتحرشاته غير المرحب بها كلما التقاها، مثيرة للقلق أكثر من كونها مصدر خطر.

ولكنها اكتشفت أن شقيقتها بدت عمياء تماماً عن حركات زوجها وطبيعته الحقيقية، فعندما دخلت غرفة المكتب لتشاهدها

وهي تصارع زوجها كي تفلت من بين يديه استنتجت روزي فوراً بأن ويلما هي التي قامت بتشجيعه. تبع ذلك أسابيع ساد خلالها البرود بينهما ومع أن روزي هي الأكبر فلقد كانت ويلما هي الأقوى شخصية رغم فارق الثلاث سنوات بينهما.

وهكذا اكتشفت ويلما متأخرة أن النجاح يجلب معه المشاكل، فها هو صهرها قد حوّل عواطفه الفارغة نحوها. ولو كانت شخصية روزي أقوى لأخبرتها ويلما ببساطة بكل ما يحصل... آه لو كانت شخصيتها أقوى لما تزوجت رجلاً مثل روجر!

وشقيقتها الآن في الشهر الثالث من حمل محفوف بالخطر وتنامى لديها خوف مرضيّ من فقدان زوجها على أساس أن شقيقتها ويلما ترغب فيه! ولمعرفة روجر بالسلاح الذي وضعته زوجته بيده، استغل كل فرصة سنحت له لاستخدامه ولم تكن روزي تريد أن تقتنع، فهي في قرارة نفسها تعرف أن زوجها غير مخلص لها، ولسبب ما فضلت الاعتقاد بأن هذه الخيانة تشمل شقيقتها بدلاً من امرأة أخرى، غريبة لا تستطيع التأثير عليها باستخدام الروابط العاطفية بينهما وسمعت ويلما صوت شقيقتها تعوّل في الهاتف:

ـ ويلما... عديني بأن لا تقابليه... أعرف أنه كان معك الليلة الماضية... لقد غاب حتى الثانية صباحاً... ولقد اتصلت بك... وكنت في الخارج أيضاً... أرجوك لا تهينيني بالكذب علي... فأنا أعرف مشاعرك نحوه.

تمالكت نفسها بصعوبة وتمتمت من بين أسنانها:

ـ أتمنى على الله أن تعرفي حقيقة مشاعري!

الأسبوع الماضي فقط، عندما قابلته ويلما لبحث حالة حمل

شقيقتها وحاجتها للعلاج، نظر إليها بصفاقة وهز كتفيه دون اكتراث وفاجأها بقوله:

ـ حسناً، بما أنها تظن فعلاً أننا على علاقة... فلماذا لا نفعل؟

قساوته وفظاظته يصيبان ويلما بالسقام، أحياناً تشعر كأنها عالقة في مستنقع قذارة ليس لها منه مهرب. فهي تكره الكذب وتحتقر الخداع. وهي لا تخادع نفسها ولا الناس، وتعرف أن روجر يريدها الآن لأنها تملك شيئاً لا تملكه روزي وهو النجاح، وسيناسبه جداً أن يكون زوج امرأة ناجحة، ولكن ليس لوقت طويل، فرجل وضيع مثله. سيجد بسرعة الطرق الكفيلة بنسف هيبتها أمام الناس. ولكنها لم ولن تفكر بمثل هذا الزواج، فحياتها مشغولة وليس لديها الوقت لتشكيل علاقة دائمة، والزواج في نظرها شيء يجب أن لا يبنى على أكثر من الحاجة الجسدية. والحب، أو ما يؤدي إليه عادة لم يكن في رأيها أساس متين للزواج والأفضل، الزواج لأسباب سياسية أو مالية أو عملية، توقيع عقد مع شخص آخر والالتزام به بدلاً من المخاطرة بالكثير على الأساس العاطفي والوهم التجانسي.

وهذا هو أساس كتابها القادم، وما قامت به من أبحاث حتى هذه اللحظة كلها تؤكد لها وجهة نظرها فيما تسميه بالزواج «المدبر» شريطة أن يكون دافعه هو الرغبة الأبوية الصرفة لتحقيق أفضل الفرص لسعادة وكفاية الطفل، وأن مثل هذا الزواج له فرص أكبر للنجاح.

ولدهشتها اكتشفت خلال بحثها أن الحب قد نما في مثل هذه الزيجات «المدبرة» مع أنها تكره الاعتراف بهذا، لأنه يعارض نظريتها التي تقضي بأن الحب ليس ضرورياً للنجاح!

ـ ويلما ألا زلت معي؟

كان صوت روزي مليئاً بالهستيريا وهي تتابع:

ـ عديني بأنك ستتخلين عن روجر، وأنك لن تريه ثانية.

الأمر أصبح سخيفاً، وحاربت رغبة عارمة بأن تصرخ في شقيقتها أن لا تكون بهذا الغباء، ثم قالت بكل صبر:

ـ روزي... روجر لا يعني أي شيء لي.

ـ أنت تكذبين. أعلم أنه يقابل امرأة، وإذا لم تكن أنت فمن...؟

وصمت الصوت المرتفع الحاد فجأة، وساد الصمت المتوتر في الخط، وكأنما روزي قد اكتشفت هوة الجحيم تحت قدميها. مسكينة روزي، لا بد أنها عرفت الحقيقة. وإذا تقبلت أن شقيقتها ليست على علاقة مع زوجها فهذا يعني أن عليها أن تتقبل أنه على علاقة بامرأة أخرى، امرأة لا تقدر أن تسيطر عليها ولا أن تضب عليها غضبها واتهاماتها.

وقالت بصوت هادىء:

ـ روزي، اهدأي، حاولي أن تهدأي، فكري بالطفل.

وكان واضحاً أنه ما كان عليها أن تقول هذا الكلام... فقد تسبب بعاصفة من النحيب وبعاصفة أخرى من الصراخ الهستيري تقول فيه:

ـ لا . . . لا . . . فكري أنت وأنت مع والده، مع زوجي.

ثم وقبل أن ترد ويلما أقفلت روزي الخط.

ووقفت ويلما، تشد عضلاتها المتألمة من التوتر. امرأة طويلة، بسيقان طوال وصدر مليء فوق خصر شديد النحول. هذا هو شكلها منذ أيام المراهقة، يعيد عن «الموضة» وهو ما صدمها يومذاك ولكنها الآن ترتدي الثياب التي تغطي أكثر مما تبرز معالم أنوثتها.

وكانت ستصدم فعلاً لو أن أحداً أشار إليها على أنها «مغرية» ففي مراهقتها كانت تعرف تماماً الفرق بينها وبين بنات سنها. ورغبة روجر فيها كانت تعزوها بكل بساطة إلى المال في حين أنها لا تهتم به.

عليها الآن أن تذهب لرؤية شقيقتها بعد الصدام على الهاتف، فهي على الرغم من كل شيء تحبها، ومع أنها كانت تفكر في سرها أن روزي ستكون أفضل حالاً بدون روجر، إلا أنها كانت أعقل من أن تقول لها هذا.

ولم يكن أمامها سوى خمس عشرة دقيقة لتصل إلى منزل شقيقتها الجورجي الطراز بحديقته الخاصة. وجدت روزي في المطبخ، وجهها متورم بفعل الحمل والدموع. تجهم وجه ويلما خوفاً على صحة شقيقتها. فلقد حذرها الطبيب بأنها إذا أرادت إكمال الحمل فعليها الراحة والاسترخاء قدر المستطاع، ولكن يبدو أن هذا مستحيلاً، بوجود أفكارها السخيفة وشكوكها حول زوجها

وشقيقتها، وعنادها الشديد.

وبدخول المطبخ، لاحظت أن التاريخ على الروزنامة يشير إلى أن اليوم موعد روزي لتمارين الحمل، وعندما سألتها عن ذلك أجابت بمرارة:

ـ كيف استطيع التركيز على أي شيء في وقت تقيم أختي علاقة مع زوجي؟

وأمسكت ويلما بأنفاسها، وعدّت ببطء حتى العشرة، ثم جلست وقالت بلطف:

ـ روزي . . . أقسم لك أنني لست على علاقة مع روجر!

ـ ولكنه يريدك!

وهذا شيء لا تستطيع نفيه، ولم تكن أبداً تعرف الكذب وتشك في أن تبدأ به الآن. وتابعت روزي ووجها محمّر بشكل خطر وقد التقطت فرصة عدم قدرة شقيقتها على إنكار ما قالته:

ـ إنه يرغب بك . . . أليس كذلك؟

كانت ترتجف بشكل ظاهر وجسدها أكثر نحولاً وضعفاً وتابعت بهستيريا:

ـ لماذا لا تفتشين لك عن رجل؟ لماذا يجب أن تأخذي ما هو لي؟ إذا كنت تريدين زوجاً . . .

ولم تستطع ويلما تحمل العذاب المطل من وجه شقيقتها فأدارت وجهها، وشد اهتمامها وجود صحيفة على الطاولة كانت مفتوحة على الصفحة الخاصة بالإعلانات الشخصية. من الواضح أن الصحف أصبحت مكاناً عادياً هذه الأيام للإعلان عن هذه

الأمور. وهذا دليل على أن هناك المزيد من الناس قد بدأوا يدركون استحالة الحصول على زواج مؤسس على أكثر من الجاذب الجسدي... فعاد تفكيرها إلى عملها... ومرت بضع لحظات قبل أن تدرك أن شقيقتها لا زالت تتكلم:

- ويلي... أرجوك... أعيديه إلي!

وكانت روزي الآن تبكي، بنحيب بشع أخذ يهز جسدها النحيل وأحست ويلي بالإرهاق لمحاولة تعاطيها مع الحالة العقلية المضطربة لدى شقيقتها. إنها ستموت حتماً لو فقدت طفلها. فقد فقدت طفلين منذ ولادة ابنها جوزف. وها هي ستفقد الثالث حتماً لو استمرت في تعذيب نفسها بهذه الطريقة. ولكن ماذا في إمكانها أن تفعل لإقناع روزي بأن لا شيء بينها وبين روجر؟

ولم تحس بأنها نطقت بآخر فكرة مرت في خاطرها إلا بعد أن سمعت روزي تقول:

- جدي لك زوجاً. تزوجي... يا ويلي... عندها سأصدقك!

كادت ويلما تقول لروزي بأنها سخيفة، اتجهت عيناها لا إرادياً إلى الصحيفة مجدداً... من يرد على مثل هذه الإعلانات؟ وكم من هذه الردود حقيقي وكم منها زائف؟ ولماذا يردون؟ أمن أجل البحث الذي تقوم به تتملكها الرغبة في السير بهذا الطريق لاكتشافه؟

راودت ويلما أفكار وتساؤلات: إنها تهتم حقيقة بصحة وحياة شقيقتها فهل من الضرورة أن يكون الزواج أبدياً؟ فقد يكون اتفاقاً

عملياً، أحياناً لأغراض غير قانونية كالحصول على الجنسية مثلاً. أو عندما يحتاج فيه الرجل أو المرأة إلى شريك لأسباب أخرى، كما في حالتها هي. وهكذا ستتمكن على الأقل من اكتشاف مدى قيمة أفكارها ونظرياتها، حول الزواج «المدبر».

فجأة أحست بشعاع رفيع من الإثارة، إنها لا تنوي بالطبع أن تحب، ولكن إذا استطاعت أن تبرهن لنفسها أن مثل هذا الزواج قد ينجح، فهو أمر رائع! ولكن هل ستجرؤ؟ أم أن الأمر كله سخيف؟

وأمضت ساعة في تهدئة شقيقتها إلى الدرجة التي تمكنت بعدها من تركها، ولكن ما إن عادت إلى مكتبها حتى وجدت أنه من المستحيل عليها التركيز على عملها، فالفكرة السخيفة التي مدت جذورها إلى عقلها في مطبخ روزي رفضت أن تنصرف. وعندما فكرت بالأمر منطقياً، لاحظت أمامها العديد من الحسنات في حصولها على زوج الآن. أهمها إقناع روزي أنه لا شيء قط بينها وبين روجر، وجعل روجر يدرك عقم محاولته ملاحقتها، وكل الرجال الآخرين الذين طالما أظهروا اهتمامهم بها منذ أن أصبحت رمزاً مهماً.

وبالطبع، ستتأكد من أنه سيكون لها اليد العليا في هذا الزواج قانونياً ومالياً، والاتفاقات السابقة للزواج، ليست بالأمر الغريب هذه الأيام. انتبهت ويلما لنفسها وقد أذهلها استسلام أفكارها إلى ما هو سخيف.

وما إن حل المساء حتى كانت قد صرفت الفكرة تماماً من رأسها، وانشغلت بدراسة الملاحظات التي وضعتها. ومضت

عدة ثواني قبل أن يجذب انتباهها صوت جرس الباب.

أزعجتها المقاطعة. ولكن زائرها، كائناً من يكون، بدا مصمماً على أن لا يذهب. وعندما فتحت الباب، وجدت أمامها روجر ببشرته المحمّرة من الشرب، وعينيه الزرقاوين حمراوين، امتعضت ويلما بمرارة. وقالت:

ـ مهما تكن تريد يا روجر، لا أريد معرفته، عد إلى بيتك، وزوجتك!

وضحك لها، الرجل التافه، المغرور المتكلف المدعي، والذي يغطي إعجابه بنفسه أي عيب آخر له.

ـ اوه... هيا يا ويلي!

وكان يرمي كلماته رمياً، وصوته يدوي في الردهة الخالية، وحدقت بقلق إلى الأبواب الأخرى آملة أن لا يكون أحد من جيرانها المستأجرين قد سمع أو رأى روجر... وهي تعلم جيداً أن دهراً سيمر قبل أن تتخلص منه... فقال لها بخشونة:

ـ تعرفين أنك تريدينني، فكفّي عن محاربة هذا الشعور... سيكون الأمر جيداً لنا.

كان لغروره المتعجرف وقعاً رهيباً على أعصابها، وقبل أن تستطيع لجم نفسها قالت له بخشونة واضحة:

ـ أنت مخطىء تماماً يا روجر، فأنا لا أريدك وأكرهك، وهذا واقع عليك أن تتقبله الآن بعد أن نويت الزواج.

ـ الزواج! أنت تكذبين!

قال هذا واستعاد توازنه للحظات. فتقدم نحوها وكأنه ينوي

أخذها بين ذراعيه، وهو يتابع:

ـ أنت لست الصنف الذي يتزوج، أنت مستقلة جداً على الزواج، وغير قادرة على الرغبة في رجل، أي رجل، لدرجة الزواج منه. والشيء الوحيد الذي يهمك هو العمل في أبحاثك.

وقف محدقاً إليها، بعد اكتشافه أنها لا تهتم به، وتابع وعيناه تقدحان:

ـ لقد فهمت، هكذا هو الأمر إذاً يا ويلي أليس كذلك؟ هذا الزواج ليس إلا نوع من الاختبار. طريقة لتجربة النظريات التي يحفل بها كتابك الجديد.

وكان صعباً عليها أن تخفي عن روجر موضوع كتابها الجديد، ولكن الغضب تملكها لمجرد أنه عرف كيف يقرأ أفكارها، وفكرت بأن تنكر وتقول له إن السبب الوحيد لهذا هو بكل بساطة إنقاذ شقيقتها، ولكنها عادت إلى التفكير بأن من الحكمة أكثر أن تتركه يعتقد ما يشاء فقبل أي شيء آخر ستكون صدمة قوية له ولكبريائه وغروره أن يعرف بأنها تفضل الزواج بغريب على الإذعان لما يريد فقالت له بعذوبة:

ـ أجل، هذا صحيح تماماً يا روجر.

ثم صفقت الباب في وجهه وأقفلته من الداخل.

بعد التزامها هذا أحست براحة لا تصدق. وقبل أن تأوي إلى الفراش، كتبت نص الإعلان وحرصت على أن يكون مختصراً وعاماً، وأبرزت عمرها وجنسها، وكان هذا أكثر شيء سخيف قامت به في حياتها. وللعجب لم تشعر بالإثارة أو الذنب!

حياة المهندس الزراعي الريفية في شعاع لا يقل عن عشرين ميلاً ليست سيئة على الرغم من أنه ليس لديه سوى مختبر صغير في كوخ خلف المنزل. هكذا فكر مارتن كيمبل وهو يمدد جسده الفارع بتعب في سيارته القديمة.

عندما تخلى متطوعاً عن مستقبل باهر في مجال الأبحاث الزراعية ظن أصدقاؤه أنه قد جن... وقد مال في سره إلى موافقتهم على ذلك! ولكن الاستغراق الكامل للنجاح في التخصص لم يكن شيئاً ممكناً بالنسبة له في وقت يربي طفلين شقيين صعبي المراس مثل روس وجو.

خلال سنوات طفولتهما الأولى لم يشاهدهما كثيراً بسبب عمله. وحتى قبل طلاقه من أمهما، كان يعيش مع عائلته على هامش دراسته ويخصص الساعات الطويلة للدراسة، الأمر الذي جعل زوجته كثيرة الشكوى والتذمر، وأصبح استمرار حياتهما معاً أمراً مستحيلاً.

الواقع أنهما ما كان يجب أن يتزوجا أبداً. ولكنه عندما عرفها كان شاباً مليئاً بالنظريات، فاتجه بعناد واستهتار إلى الزواج، يومذاك كان يحبها ولكن ما أحبه كان حلم شاب صغير بامرأة، وليس حبه للواقع. أراد منها أن تكون أماً لأطفاله، الأم التي لم يعرفها أبداً.

ولكن الزمن والواقع، قسّيا ذلك الحالم المتمسك بالمثل والنظريات ليصبح الرجل الذي هو الآن. إنه الآن بعيد بعد عالم كاملٍ عن ذلك المراهق في عمر السادسة عشرة يوم وفاة أمه، وقد واجه كارثة أخرى بعد طلاقه من زوجته، حينذاك كان ولده جو في الثانية من عمره وروس في الرابعة، فقد ماتت زوجته منذ سنتين، بعد أن صدمتها سيارة مسرعة وسط الطريق، وكانت ضائعة مشوشة إثر خلاف وشجار معه لرفضه رعاية طفليهما كي يتسنى لها الهجرة إلى اوستراليا مع من تحب.

كانت لها دائماً طباعاً سيئة، وهو أمر كان يتغاضى عنه في أول أيام حبه لها. ولا بد أنها لم تكن ترى أمامها شيئاً عندما خرجت من شقته إثر الشجار، فقد كانت تسير بغضب هائل حتى أنها لم تشاهد السيارة أبداً وقد قتلت على الفور. وفي موتها حققت ما لم تحققه في الحياة. فقد اضطر إلى تحمل مسؤولية ولديه، وهو الذي يؤمن بقوة أن مكانهما الصحيح هو مع أمهما بالرغم من انها لم تكن ترغب فيهما ولطالما أبلغته ذلك. وهكذا لم يعد أمامه أي خيار سوى أن يتخلى عن دراسته وتخصصه، وأخذ يفتش عن عمل لا يتطلب وقتاً وجهداً كبيرين ليتسنى له رعاية الطفلين.

وكان قد سمع عن المزرعة الاختبارية النائية من أحد الأصدقاء وقد سرّ مجلس إدارة المزرعة أن يعمل فيها مهندس زراعي عالي الكفاءة. وبعد شهر من وفاة زوجته كان وطفلاه مستقرين في مزارع «مديسن هات» الواسعة على بعد أميال من مدينة «ريجينا» عاصمة مقاطعة سكتشوان الكندية. حيث تسكن شقيقته وعائلتها.

شقيقته لورين كانت قد وعدته بفعل ما تستطيع لمساعدته على تربية الولدين وقد وفت بوعدها لكن المشاكل بقيت. فالولدان ثائران وعنيدان ولكونهما أكبر من ابن عمتهما فهما يميلان للسيطرة عليه ربما تعبيراً عن شعورهما بعدم الأمن والاستقرار. وكان يحس أحياناً باليأس منهما حتى أنه فكر أكثر من مرة باللجوء إلى وسائل التربية القديمة، باستخدام اليد حيث تسبب الألم أكثر، ولكنه حتى الآن استطاع كظم غيظه.

إضافة إلى كل مشاكله فهو أرمل، وكان عليه دائماً أن يتقي التحرشات الرومانسية من قبل النساء والشابات في المزارع البعيدة.

مضت نصف ساعة قبل أن يصل المنزل. المنزل الذي اشتراه من المهندس الزراعي السابق كان كبيراً وغير مترابط، له حديقة جعلها جنة بعد محاولات دؤوبة لتطويعها. وكان ولداه بعيدان جداً عن التمتع بمحيطهما الريفي، ولم يتوقفا أبداً عن التذمر لنقص أسباب الراحة. فلقد تربيا في المدينة وحتى بعد ثمانية عشر شهراً كانا لا يزالان يشعران بالغربة في الريف، ولم يستخدما الدراجتين اللتين اشتراهما لهما في عيد الميلاد تعبيراً عن كرههما له!

جزء كبير من هذه المشكلة كان سببه أن أمهما لم تحاول أبداً إخفاء واقع أن كلا الوالدين لا يريد رعايتهما، فكان الولدان في المقابل يظهران نفوراً شديداً من العالم كله ومن والدهما خاصة.

ما إن دخل مارتن المطبخ حتى علم أن مشكلة أخرى قد حدثت. لورين والتي تحبه، والوارثة لشخصية العائلة القوية، وذات

الشعر الأسود الكثيف، كانت تقف عند الطاولة والصمت يلف المكان بتوتر شديد، وقالت له دون مقدمات:

ـ لقد أرسلت الولدين إلى غرفتهما، اضطررت لإعادتهما إلى المنزل باكراً. لقد قيدا تيد في الحديقة، وأحاطاه بحطب وقالا إنهما كانا يلعبان... يا إلهي يا مارتن، لو لم أصل في الوقت المحدد...

ولم تكن بحاجة للمتابعة. فلقد أحس بالمرض لمجرد التفكير بما كان سيحصل. ولكنها تابعت:

ـ لم أعد استطيع رعايتهما بعد الآن. لقد جربت كل شيء ولكن عبثاً فهما بحاجة لشخص خاص لهما لرعايتهما.

وأخذت لورين تنظر بإشفاق إلى شقيقها، رجل طويل نحيل له شعر أسود كثيف وعينان زرقاوان مليئتان بالحيوية. إنه في الخامسة والثلاثين لكنه بدا لها أكبر من عمره! إنها تحبه وتتعاطف معه، ولكنها لا تستطيع المخاطرة بسلامة طفلها البالغ الثامنة من عمره مع زوج من الأطفال تعتبرهما خارج قدرتها على السيطرة.

ـ يا إلهي يا لورين، ماذا سأفعل بحق الجحيم؟

بدا متعباً جداً ومتكدراً جداً حتى أنها كادت تتراجع عن موقفها، ولكنها قسّت قلبها وقالت بحزم:

ـ حسناً، خذ!

ورمت أمامه على الطاولة جريدة وقالت:

ـ هيا... اقرأها!

وانتظرت إلى أن انتهى ورفع عينيه إليها غير قادر على

التصديق:

- وهل تقترحين علي جدياً أن أفكر به؟ أن أستجيب لإحدى هذه الإعلانات من بعض النساء المجنونات اللواتي يبحثن عن أزواج؟ أن أبيع نفسي؟

- ولِمَ لا؟ كثير من الناس يفعلون هذا ويعتبرون ذلك «تضحية». أنت مثقف يا مارتن، مهندس، إلى متى تستطيع الثبات قبل أن تملأ المشاكل كامل عقلك وتفكيرك وترتكب غلطة؟ غلطة قد تكلفك حياة شخص ما.

ما تقوله كان فقط صدى لأفكاره، ولكن أن يفعل ما تقترحه!! وضع يده على جبينه فإذا به مغطى بالعرق. وتابعت لورين ضغطها:

- لا استطيع متابعة رعايتهما. لديّ تيد لأفكر به. إنهما بحاجة لشخص لهما وحدهما... شخص يعطيهما ما لا يستطيعه أنا ولا أنت.

- وتظنين أن هذه المرأة التي تعلن عن حاجتها إلى رجل بشكل بائس بإمكانها أن تعطيهما أي شيء؟

- أعرف رأيك أنك لن تتزوج بعد أمهما، ولكن الولدان بحاجة إلى أم، حتى لو لم تكن أنت بحاجة إلى زوجة يمكنك أن تتزوج من إحدى زبائنك، ابنة المزارع براوننغ مثلاً.

لاحت ابتسامة على وجهه... وعرفت لماذا فسوان أرملة جميلة ولها ميل لاختراع أمراض تصيب المزروعات، ونظرة شرهة كلما وقع نظرها على المهندس الزراعي. وتابعت لورين كلامها:

- لا... أعرف هذا، وهي ستطالبك بالكثير إلى أن لا تعود قادراً على العطاء، أليس كذلك يا مارتن؟

أحست المرأة بضيق من نفسها... فقد أخبرها شقيقها أنه يشعر بعقدة الذنب لتسببه بموت زوجته وأن هذا قد أثّر عليه حتى أنه لم يعد يحس بأي انفعال جسدي تجاه المرأة، لكن حاجته العاطفية إليها كانت قوية وهذا ما دمّر كل رغباته. وتابعت لورين بهدوء:

- الأفضل لك، زواج مع امرأة تستطيع أن تعقد معها اتفاقاً عملياً يحل لك كل مشاكلك. أنا لا أعني أن تتزوج المرأة المذكورة في هذا الإعلان بالذات ولكن هذه طريقة للتفتيش. ولمساعدتك على البداية. أجبت عنك لهذا الإعلان.

وللحظات ظنت أنه سيضربها، ولكن اللون الغاضب تلاشى عن وجهه، ليتركه أبيض، شاحب، وعضلات فكه تتراقص وقال لها بخشونة:

- وحق الله يا لورين، أنت تغامرين أنا لا أريد منك أي تدخل في حياتي.

وتصاعد الغضب في داخلها، وتذكرت كيف كان يتخاصمان في طفولتهما. لقد كان عنيداً، صلباً، وهو أمر ورثه عنه ولداه. وأجابته بهدوء وتصميم:

- ربما لا تريد تدخلي، ولكنك بحاجة لمساعدتي ومن حقي أن أقرر نوعية المساعدة، لقد رددت على الإعلان مقترحة أن تزورك المرأة هنا لتراك.

ولاحظت بوضوح نظرة الدهشة والغضب وعدم التصديق فأكّدت له قائلة:

- لقد اضطررت لهذا يا مارتن. أنا لا أطلب منك الزواج من

المرأة في هذه المرحلة. ولكنني أقول بكل بساطة إنّ ولديك بحاجة لشخص في حياتهما يمكنهما أن يثقا ويتعلقا به، ويبدو أنه لا أنا ولا أنت نستطيع لعب هذا الدور... وهما ولداك يا مارتن!

ـ أجل.

قال هذا بقلق، كان صوته مثقلاً بالقبول، ورفعت لورين رأسها وأحست بالارتياح قليلاً. ولعلمها بقراره المسبق بعدم الزواج، أدركت خطورة ما فعلت ولكنها كانت مقتنعة أن هذه هي الطريقة الوحيدة لمساعدة الولدين، فمارتن قد لا يحتاج إلى زوجة، ولكنه وولداه بحاجة إلى أم. ولن تكون هذه أسوأ من الزيجات الشرقية التي يدبرها الاباء لأبنائهم، وهي ناجحة عادة. وابتسمت له ثم نظرت إلى ساعتها تهرباً ثم قالت:

ـ حسناً. عليّ الذهاب الآن. الولدان لديهما ما يأكلانه. وأظن أنه من الأفضل من الآن فصاعداً أن لا يأتيا إلى منزلي. لذلك دبرت أمر حضور الخادمة اليومية السيدة ماغفرسون، إلى هنا لرعايتهما. إنه ترتيب مؤقت.

وراقبها مارتن وهي تغادر بسيارتها، ووضع يديه في جيبي بنطلونه. اللعنة عليها على هذا التدخل! ولم يلاحظ كم هي عنيدة مثل ولديه. ما هو نوع هذه المرأة التي تعلن عن زوج بحق الله؟ ولكنه مضطر الآن أن يراها، وإلا ستنفجر لورين في وجهه، وهو يحبها ويعتمد عليها ولن يخاطر أبداً بإغضابها. واستدار عند الباب... فعليه الآن أن يذهب لمحاسبة الولدين. لورين على حق. إنهما ولداه... مسؤوليته، مسؤولية لا يراعيها كما يجب.

وجدهما في الغرفة كلاهما جالس، قريبان من بعضهما حتى أن جسداهما متلاصقان. وبديا يشبهانه أكثر من شبههما لأمهما، كان لهما جسده المتناسق ولون بشرته ولكن عيونهما كانت عسلية بلون عيني أمهما. وحدقا إليه فجلس، وهو يشعر بأنه أضعف من التعامل معهما. فماذا يا ترى استحوذ عليهما ليلعبا تلك اللعبة الغبية الحمقاء مع ابن عمتهما؟ إنهما ذكيان جداً بعيدان عن الغباء... وتنفس عميقاً!

ـ أوكي... عمتكما لورين أخبرتني كل شيء. وما كنتما تفعلانه خطأ كبير جداً. وخطير وكان يمكن لتيد أن يصاب بأذى فادح لو أنكما استعملتما النار حوله، وكان يمكن أن يقتل...

العيون العسلية التي لم ترتجف نظرت إليه دون أي تعبير. وكأنه يتحدث إلى جدار سميك. ومرر أصابعه المرتجفة في شعره، ويده تتشوق لمعاقبتهما.

ـ عمتكما لن تستطيع رعايتكما بعد الآن. ربما سأضطر إلى إرسالكما إلى مدرسة داخلية.

وعلى الفور بدا الخوف في العيون العسلية المرتجفة، وأحس برغبة لضمهما مطمئناً، ولكنه كان يعلم أن أي محاولة للمسهما سيقابلانها بالصد العنيف وكان قد بحث موضوع إرسالهما إلى مدرسة داخلية مع لورين ولكنها اعترضت على الأمر بقوة، قائلة: «إذا فعلت فسيكبران في ظل نظام مؤسساتي ظالم يمحو شخصيتهما. ولن يكون لديهما الثقة الكافية بالنفس. وسيفكران بالأمر كعقوبة» وها هو يرى بألم عنيف وقع الخبر عليهما.

ـ أوكي... لن أرسلكما إلى مدرسة داخلية.

وأحس، أكثر مما شاهد، بالراحة والاسترخاء فيهما. وتمنى لو أنهما ليسا قريبان من إجازتهما المدرسية السنوية الطويلة.

لورين حشرته في زاوية الزواج كمخرج وحيد له من أزمته. ولكن الزواج هو آخر ما يريد. فزواجه الذي انتهى كان الجحيم الحي، مع أنه كان يحب زوجته. ولكن هذا الزواج الذي ترعاه لورين لن يكون هكذا. سيكون مجرد اتفاق، مثله مثل استخدام مدبرة منزل أو مربية. وقال لهما بقلق:

ـ لماذا لا تقومان بجهد للتوافق مع تيد؟ عمتكما تحبكما، ولكن...

وارتجفت شفتا روس وهو يرد متمتماً:

ـ لا... إنها لا تحبنا أبداً. إنها تهتم بنا فقط لأنك والدنا.

وكان في ما قاله بعض الحقيقة ليضيع مارتن عن طريق الجواب.

وتمتم جو باكياً:

ـ لا أحد يحبنا... ونحن لا نحب أحداً، نحن نحب بعضنا فقط.

وتراجع مارتن ببطء نحو الباب... يا للمسكينين الصغيرين... ماذا يقدر بحق الله أن يقول لهما؟ أيقول إنه أحبهما عندما كانا بعمر الأربع سنوات والسنتين، وإنه اضطر لتركهما عندما طلبت أمهما الطلاق؟ أم يقول إن الولدان البالغان الآن الثانية عشرة والعشر سنين هما غرباء بالكامل الآن عنه؟

لورين على حق، وفتح الباب فجأة. إنهما بحاجة فعلية لأن يكونا لوحدهما. وها هي على حق أيضاً حول ضغط مشاكله الخاصة وتأثيرها على عمله، كمهندس مسؤول عن مختبر زراعي وعن صحة المزروعات في مساحات شاسعة في البلاد، لا يستطيع أبداً تحمل الوقوع في أي خطأ.

من هي هذه المرأة التي أعلنت بهذه الوقاحة عن حاجتها لزوج؟ لقد وصفت نفسها فقط إنها في السادسة والعشرين، عزباء تعيل نفسها.

حسناً، بفضل لورين سيكتشف قريباً من هي.

• • •

٢ ـ الصفقة

بعد أن صممت على إيجاد زوج لها، دهشت ويلما للهدوء الذي أحست به. ولم تتوقع أن يخبر روجر اختها روزي بما ستفعله.

ولكن الذي أثار دهشتها أكثر انه لم يحاول منع نفسه من التودد إليها. فهي زائرة دائمة للجامعة ومكتبتها، وكان يثير أعصابها إذ يتمكن دائماً من لقائها هناك، ليعرضها لذلك الغرور الذكري المتعجرف الذي تكرهه منه.

وفوق كل هذا كانت حالة روزي الجسدية والعقلية تقلقها بشكل متزايد وتجد صعوبة في التركيز على عملها. إنها بحاجة إلى جو أكثر هدوءاً واسترخاء وابتسمت قليلاً. الزواج، من الوجهة التي تنظر هي إليه، بالكاد يكون المناسب لحالتها وتساءلت بمرح عما إذا كان الإقدام على مثل هذا الزواج كما خططت له، سوف يثبت أبحاثها ونظريتها حول الزواج المدبر، وكيف ستتمكن من تدبير أمرها إذا لم يكن كذلك؟

ولو أنها عرفت من سيجيب على هذا الإعلان لما اقتربت من الرد، قبل قراءة كل الردود التي وردتها بعد أسبوع. وبعد استبعادها

ما هو سخيف من الردود، وما هو صريح وجريء أكثر من اللزوم. بقي لديها حوالي الدزينة من الرسائل تبدو حقيقية في مقصدها، من رجال ليس لديهم شكوى سوى وحدتهم. وبتفكير عميق، اختارت الرسالة التي بدت مختلفة جداً عن الباقين، وقرأتها ثانية. إنها أطول من غيرها، وتحمل تفاصيل وتعطيها مباشرة الكثير من المعلومات أكثر مما أعطاها الآخرون، لدرجة كثرة الكلام أو «الثرثرة» في بعض المواضيع.

لقد وصفت الرسالة المنزل، وطريقة الحياة للكاتب، ولم تحاول اخفاء المشاكل التي يعانيها مع ولديه، ولا عن أسبابه لطلب زوجة «أولاً للعناية بالولدين واعطاء حياتهما نقطة ارتكاز، وثانياً لتوفير حياة منزلية منظمة لنفسي كي استطيع التركيز على عملي».

ولم تكن الرسالة تحوي على أي وعود زائفة، ولا على التزامات عاطفية، ولا على وعد بالسعادة المشتركة. إنها رسالة عملية صرفة. بالمختصر، إنها تمثل تحدياً بارزاً لاختبار أبحاثها في كتابها الجديد. وأحست ويلما بأنها ستستجيب لهذا التحدي، ولم يخفف من رغبتها في التجاوب، إن الرسالة مصممة بدقة لدفعها لمثل هذا التجاوب.

وأدهشتها درجة التعاطف التي أحست بها تجاه الولدين اللذين وصفتهما الرسالة بأنهما «زوج من الرعب المقدس، مخلوقان فقط لتجربة صبر القديسين، واللذان، على الرغم من قلقهما يتمكنان من أن يبقيا بغيضين بقدر ما يستطيعان» وليس هنا أي ادعاء زائف، إنها صرخة راشد يائس، مرهق بالمشاكل العاطفية التي لم ولن يتمكن

من حلها.

واستعادت ما يكفي من ذكريات عن طلاق أهلها وما يكفي من مشاكل الأولاد، وعلمت أن الدخول إلى مثل هذا المنزل لن يترك لها الكثير من وقت كما تعودت وللتركيز على عملها، وبالرغم من هذا وجدت نفسها تقرأ الرسالة للمرة الثالثة، وبدون تفكير أخذت تفتش بين كتبها عن خريطة لتجد، وكما قدّرت أن القرية المذكورة في الرسالة تبعد حوالي السبعين ميلاً عن مدينة «ريجينا» عاصمة المقاطعة الزراعية «سكتشاون» وسط كندا. أي بعيدة ما يكفي لوضع مسافة بينها وبين روجر، ومع ذلك فهي قريبة ما يكفي كذلك لأن تعود بسرعة إذا احتاجتها روزي. وللغرابة حددت الرسالة يوماً وموعداً للقاء، مما دفع بالأمور إلى الأمام أسرع مما توقعت. ولم تكن واثقة أنها مستعدة لمواجهة مع نسيبها المفترض بعد. وتضمنت الرسالة خريطة وتوجيهات لها، ولكن بدون رقم هاتف، وهكذا لن تستطيع الاتصال لإلغاء الموعد، وما عليها الآن سوى أن تذهب أو تتجاهل الأمر تماماً.

وكيف ستتكيف مع الزواج بمهندس زراعي؟ على عكس الرأي العام وجدت أن المهندسين الزراعيين عادة متعبون، قساة لا يهمهم سوى تنفيذ مهماتهم في المزارع البعيدة، ولكنها تمنت لو أنها تكون مخطئة.

راودها إحساس بمغامرة وشيكة، جعل شفتيها تتكوران ببطء في ابتسامة، وشعور جذل قلبي يسيطر عليها بعد البؤس الذي مر بها في الأشهر الماضية. مما دفعها لمراجعة مواعيدها. فإذا لم يكن

لديها شيء يشغلها فستذهب، هكذا قررت، وهي لا تلحظ أنها تكتم أنفاسها وكأنها طفل. ثم نظرت في مفكرتها لتجد أنها خالية من المواعيد.

وهكذا وجدت انه في يوم الجمعة القادم ستكون مضطرة لمواجهة الغريب الذي قد ينتهي بها المطاف إلى أن يكون زوجها. لا يفصلها عن الجمعة سوى يومين، وما نفع التأخير، وروزي تطالبها بالزواج كل يوم، وقد غدت أكثر هستيرية.

الجاكوار الخضراء السبور التي كانت التبذير الوحيد لثمرة نجاحها، جعلت المسافة من منزلها إلى «موريس هات» أمراً سهلاً. فالسيارة فخمة وهي الرغبة الطفولية الوحيدة التي ساورتها، فهي أولاً ليس فيها سوى مقعدان كاملان في المقدمة ومقعدان صغيران في الخلف، وثانياً مصروف وقودها مرتفع جداً. ولكن في يوم مشمس مثل اليوم، وقد رفعت السقف المتحرك، ورائحة الريف تملأ رئتيها، لم تستطع أن تخفي نهائياً الفخر الذي يتملكها باقتناء مثل هذه السيارة.

ووجدت القرية، واتجهت بعد ذلك لتوقف السيارة في مكان هادىء لتراجع التعليمات والخريطة بحذر.

وبشكل غير منطقي أحست بالخجل من نتائج لقاء اليوم، وفيما كانت مستغرقة في مراجعة الرسالة والتعليمات، فاجأها صوت زمور سيارة مستعجلة، فقطبت، واستدارت في مقعدها لتشاهد رجلاً أسمر الوجه أسود الشعر يحدق إليها من سيارته الريفية القديمة وقد

توقف على بعد خطوات من سيارتها.

وجه كان يمكن وصفه بالوسيم لولا أنه كان متجهماً بنفاذ صبر غاضب. وجاءها صوت غليظ ساخر:

ـ آسف لمقاطعة أحلام يقظة السيدة. ولكنك تقفلين الطريق منذ خمس دقائق.

وأحست بالذنب لاستغراقها بأفكارها حتى أنها لم تنتبه لوصوله، ومع ذلك فنزقه جعلها تحس بالتوتر. وببطء أخذت تنظر إلى وجهه القاسي النحيل وهي تلاحظ القسمات العدوانية لفكه، واللمعان الخطر في عينيه.

ـ وهل أنهيت مراجعة الجردة؟

السخرية في صوته كان يجب أن تخجلها، وخاصة انها ليست معتادة على التحديق بوقاحة إلى وجوه الرجال. وساد صمت قصير صاحبه ابتهاج من جهتها لم تعرف سببه، ولكن ما سرّها وأشيع غرورها هو رؤية ارتباك رجل متعجرف. وأدركت من نظرتها إليه انها لو تجرأت وضحكت لقتلها. وقال لها من بين أسنانه:

ـ أنا آسف، ولكنني مستعجل، فأرجوك أن تفسحي الطريق.

مستعجل؟ ولماذا؟ هل هو على شفير أن يلقي القبض عليه زوج غيور؟ ونظرت إليه متفرسة لتجد شيئان يطلان من عينيه. الأول انه قد خمّن ما تفكر به والثاني انه غاضب جداً.

وساورها توق لأن تتريث قليلاً لمجرد أن ترى تأثير هذا عليه، ولكن الحكمة أقنعتها بالعكس، وهكذا حركت الجاكوار إلى جانب الطريق، مفسحة له المجال ليمر، وهكذا فعل ومحرك سيارته يصدر

صوتاً مزعجاً مخلفاً وراءه غيمة من الغبار لفتّ سيارتها اللماعة.

ودرست الخريطة خمس دقائق، لتدرك بعدها انها ستتأخر على الموعد. ولحسن الحظ وجدت المنزل بدون جهد يذكر، واستحوذ على مشاعرها منظر البراري الشاسعة من حولها والحديقة التي تحيط بالمنزل، وهي تقود سيارتها ببطء في الطريق الخاصة لتصل إلى المدخل.

خرجت من السيارة بدون أن تنظر إلى المرآة وقد تشعث شعرها قليلاً من الهواء، وبدا اللون الأحمر الذي وضعته على خديها... وما عدا ذلك لم يكن فيها شيء انثوي مميز. هكذا أرادت أن تكون، فثمة شيء واحد ستؤكد عليه هو أن الزواج سيكون شكلياً فقط.

عند الباب قرأت ويلما ملاحظة تفيد بأن المختبر والمكتب يقعان خلف المنزل، وعلى الزائر أن يرن الجرس. وبكل ارتياب التزمت بالتعليمات وكان عليها أن تنتظر وقتاً طويلاً وشاغلت نفسها بمراقبة الطبيعة والبرية من حولها، والمروج المهملة المحيطة بالمنزل، التي تتطلب جيشاً من المزارعين المخلصين مع أدواتهم. وفكرت أهذه حقاً مروج تعود لمهندس زراعي؟ وسرح نظرها تبحث دون جدوى عن الحدود التي تبدأ أو تنتهي فيها هذه الحقول. وهزت كتفيها بدون اكتراث، وهي تقارن الوحشية النامية أمامها بالحديقة النظيفة المرتبة حول منزلها.

ـ نعم؟

الصوت الخشن بدا لها مألوفاً. الصدمة في العينين الزرقاوين لم تكن خافية عندما استدارت لتواجههما.

ـ يا إلهي، أهذه أنت؟

وتركت الصدمة مكانها للدهشة وقد تعرفت على الرجل الذي واجهها بغضب منذ قليل.

ـ من الأفضل أن تدخلي اذن!

وتبعته إلى الداخل، تبتسم سراً لنفسها على اللقاء غير الودي الذي جرى وللتجهم الذي ظهر على قسماته وهو يفتح الباب قائلاً:

ـ ادخلي هنا.

كانت الغرفة خليطاً من المفروشات المختلفة أكثرها لا يناسب سوى النار أو البيع في سوق خيرية، وأغمضت عينيها محاولة عدم التفكير بأثاثها المختار بعناية والديكور والأثريات.

ـ اذن أنت تبحثين عن رجل!

اللهجة الجافة أزعجتها، فما تراه لم يكن متوقعاً. وقالت برقة فيما كان ينظر إليها بقلق:

ـ اوه... لا. بإمكاني أن أجد «رجلاً» بكل سهولة، ولكن ما أبحث عنه هو زوج. لا أكثر. أبحث عن زوج مستعد لتقبل بعض القيود، التي أريد أن أضعها على مثل هذه العلاقة.

لو أنها توقعت أن تثير فيه رد فعل غاضب بكلامها المثير لأصابتها خيبة أمل. وأخذت تراقبه فلاحظت كراهية قاسية في عينيه وتعجبت فكأنه لا يريد الزواج منها، أو من أي امرأة أخرى أو كأنه مجبر على ما يفعل. أما مارتن فقد لاحظ فهمها لحقيقة مشاعره فعلّق:

ـ أنت محقة. كل هذا ليس فكرتي، بل فكرة شقيقتي. هي من

كتبت لك. وهي من أتت بك إلى هنا.

ـ هكذا إذن. وليس هناك ما يقال بعد. أليس كذلك؟

وانتسمت متجهة إلى الباب لتفتحه.

ـ انتظري لحظة.

هي فتاة طويلة ولكنها كانت مضطرة أن ترفع رأسها لتنظر إلى عينيه، وقد أدهشتها القوة التي أحست بها في يديه وهو يغلق الباب، وباقترابه منها، استطاعت أن تتنشق رائحة عرقه، ودون وعي اندفعت إلى الوراء لتبتعد عنه، فهي تكره هذه الرائحة.

ـ ماذا دهاك بحق الشيطان؟ لست أنوي أن ألمسك.

قالها بطريقة أفشت بكراهيته لمثل هذه الأمور. هل هي منفرة إلى هذه الدرجة حتى أن هذا الغريب نفر منها؟

ـ ولماذا تبحثين عن زوج؟

فاجأها سؤاله، وهي التي ظنت انه لم يعد ثمة شيء يقال، ولكنها لم يكن لديها شيء تخفيه وما من سبب يمنعها من قول الحقيقة، وهكذا راحت تشرح باختصار قلقها على وضع شقيقتها العقلي والجسدي، ملمحة لتصرفات روجر المثيرة للاشمئزاز، ولكنها لم تذكر شيئاً عن كتابها.

ـ اذن قرارك سببه شقيقتك وليس الرغبة في الزواج، أليس كذلك؟

ـ لن أتزوج لسبب آخر. فالزواج في نظري نوع من العذاب النفسي، ولم يعد ضرورياً في هذه الأيام، في الماضي كان السبب الوحيد لحاجة المرأة إلى الزواج هو أنها لم تكن تملك الحرية أو القوة المالية التي تمكنّها من اتخاذ قرار آخر. أما في وقتنا الحاضر،

فالمرأة في المجتمعات العاملة لم تعد بحاجة إلى رجل يصرف عليها. فلماذا تقيّد نفسها بعلاقة مليئة بالتضحية لصالح الرجل؟

وانقفل حاجباه بقوة، واشتدت قساوة فمه وهو يقول:

ـ ولكن ماذا عن الأولاد؟ أليس من حقهم أن يكون لهم والدان يهتمان بهم؟

ـ حال أن يولدوا من زواج، أجل. أوافق معك انهم بحاجة إلى الدعم والعناية من كلا الوالدين. ولكن أن تقرر المرأة لسبب ما احتضان أولادها وتربيتهم بنفسها، فلا.

ـ وهل تعلمين أن لديّ ولدان؟

ـ أجل.

ـ وبالرغم مما قلته، أأنت مستعدة للزواج من رجل لديه طفلان لا يزالان يعتمدان عليه. ولدان قبل كل شيء بحاجة إلى دعم عاطفي واهتمام كبير؟

وردت عليه ويلما ببطء:

ـ أنا ابنة زواج متحطم وكذلك فأنا عشت معتمدة على نفسي، وباحثة اجتماعية، لقد ألفتّ إلى اليوم كتابين في العلاقات الإنسانية. وأنا على وشك انجاز كتاب ثالث. مبدئياً عندما قرأت رسالتك... أقصد رسالة شقيقتك. تبادر إلى ذهني أنني قد استطيع مساعدتك ومساعدة الأولاد.

ـ هذا نُبل منك.

وبدا فجأة انه يسخر منها. ففقدت أعصابها، وقالت بغضب:

ـ انظر... أرى بوضوح انني اضيع وقتي في الكلام معك. وشرحت لك لماذا أريد الزواج، وسأزيد على هذا بالقول ان أي

زواج أتعاقد عليه لن يكون مع رجل يحمل المرارة والكراهية التي تحملها أنت بوضوح. ما أريده هو علاقة متحضرة مع شخص يتقبل الزواج كصفقة عمل يستفيد منها كلا الطرفين.

- أوه... حقاً! وما هي هذه الاستفادة التي ترغبين فيها؟ اخفاء علاقة غير شريفة بعلاقة شرعية؟

لهجته القاسية العميقة الاحتقار جعلتها تخرس لبضع ثوانٍ قبل أن تستطيع الكلام. وعندما فعلت، كان الغضب يرمي ظله على عظم فكها وعيناها أصبحتا بلون الذهب الداكن:

- بالطبع لا. فأنا لست على علاقة بأحد. ولست أنوي أن تكون لي علاقة من هذا النوع حتى مع زوجي...

وأدركت أنها باحت بالكثير ولكن بدلاً من أن يشتد هجومه عليها، أخذ ينظر إليها مفكراً:

- فهمت ما تقصدين.

ماذا فهم بالضبط يا ترى؟

- أنت اذن تتحدثين عن زواج أفلاطوني، زواج يتم ترتيبه باتفاقات متبادلة يمكن فصلها في أي وقت.

- أجل، هذا بالضبط ما أفكر به شريطة أن تكون مستعداً لأن تسمح لي بمتابعة عملي، وأن تكون حياتنا متلازمة ولكن منفصلة. وسأكون على استعداد لمتابعة علاقتنا طالما نحن محتاجان إليها.

- ولكن هذا سيستغرق وقتاً طويلاً، وأنت شابة، ألا زلت في السادسة والعشرين، ماذا يحدث إذاً لو أحببت؟

كان يراقبها بعناية، وعلمت ويلما أن الكثير متعلق بردها على سؤاله. وأحست بالغرابة لرغبة تتملكها باقناعه بأنها مرشحة مناسبة

لمركز زوجته لكنها أجابت بكل هدوء:

- هذا لن يحدث أبداً! أترى... أنا لا اؤمن بالحب. إنه نوع من الوهم كان يستخدم لوصف الجانب العاطفي من رغبة جسدية عارمة لشخص ما، وفي اسوأ الأحوال وسيلة لخداع النفس.

وتطلع إليها لفترة طويلة ثم قال بنعومة:

- اخبريني، هل أحببت من قبل؟

لم تتردد ويلما في إخباره بأنه لم يمسها رجل قط وأنها تعتبر الزواج منه تجربة فريدة لن تهتم أبداً بتكرارها بعد أن تنتهي. لكنها أصيبت بنوع من الصدمة لسماعه يقول:

- حسناً، أرجو أن لا تتوقعي مني شيئاً. فالشيء الوحيد الذي لا أرغب به في الزواج هو العلاقة الجسدية. وأنا كذلك ليس لي علاقة مع أحد، ولا أريد علاقة. أقولها بصراحة، فتأثير موت زوجتي علي كان فظيعاً حتى أنني أشك بأن أكون عاطفياً قادراً على الحب... ألا زلت تشعرين برغبة في الزواج مني؟

ونظر إليها متحدياً. فردت عليه بتحدٍ أكبر:

- أجل شريطة أن أنجح مع الأولاد.

لم يكن هذا هو الرد الذي نوت أن تعطيه أبداً. ولم تستطع فهم لماذا أعطته. ومن الواضح أنه كان متعجباً بنفس القدر. ولكي تغطي صدمتها زادت:

- قواك العاطفية أو عدمها ليس موضع اهتمامي. كل ما أريده منك هو...

- حماية اسمي لك كزوج... أجل... أجل، لقد قلت لي هذا.

وراقبته يقترب من النافذة، جسده النحيل يتحرك برشاقة غير متوقعة. وقال لها:

- شقيقتي أخذت الأولاد إلى منزلها، فهل ترغبين في البقاء لمقابلتهما؟

أهذا نوع من القبول بالدور الذي ستلعبه في حياتهما؟ إنها لا تعرف، كل ما تعرفه إنها فجأة لم تعد راغبة في الذهاب. وسمعته يقول:

- إنهما قادمان.

وفتح الباب، لتدخل منه امرأة طويلة سوداء الشعر لها عينان زرقاوان لمعتا على الفور لحظة مشاهدتها ويلما. وقال لها شقيقها بصوت جاف:

- بإمكانك أن تتوقفي عن الادعاء لورين. انها تعرف أن كل شيء كان فكرتك.

- صدقاً يا مارتن؟

إذن اسمه مارتن... وتابعت:

- الأفضل أن أقدم نفسي، أنا لورين كندر، شقيقة مارتن.

وأضاف مارتن معلقاً بسخرية:

- وخاطبة غير عادية.

وتوقف عن الكلام بعد أن أدرك أن الولدان يراقبانهم من الباب:

- ادخلا...

واستدارت ويلما لتنظر إليهما، فشاهدت في وجهيهما كل الحزن والبؤس والمعارضة التي لاحقتها في مراهقتها. كم تتذكر

كيف كانت المخاوف والآلام التي تتوقف عند حدود الصمت والدفاع. وقال أبوهما:

- روس، جو... قولا مرحباً لـ...

- ويلما...

ولم تحاول لمس الولدين ولا الحديث معهما، ولكنها تركتهما يعلمان إنها مدركة لوجودهما، وهي تشملهما بتعليقاتها وكلامها مع عمتهما وأبيهما حول رحلتها ومدى صدمتها بحالة الحديقة والأرض المحيطة بالبيت لا سيما انه مهندس زراعي.

ولشد ما آلمها تقدمهما الحذر منها، بدا عليهما الخوف الشديد من أن يصابا بالأذى الذي قد يصيبهما من أي شيء لا يدبرانه هما بنفسيهما. وكان الأكبر هو من كلمها أولاً. إذ قال روس:

- أهذه سيارتك في الخارج؟

قال هذا بلهجة جافة تشابه لهجة أبيه، ولدى مشاهدتها التقطيبة الشديدة التي ظهرت على وجه الأب، كان عليها أن تحارب رغبة متفجرة بحماية الصبي من غضب أبيه.

- أجل إنها لي... هل أعجبتك؟

وراقبته يهز رأسه. ثم قالت له انها اشترتها مؤخراً مضيفة:

- الشيء الوحيد الذي لم استطع فعله بعد هو تعديل مركز المقاعد.

ووجهت الكلام للجميع بشكل متعمد، وأمسكت أنفاسها إلى أن سمعت روس يقول بفظاظة:

- أستطيع محاولة تشغيلها لك.

- أتستطيع؟ اوكي إذن.

وتقبلت عرضه بنفس الطريقة المرتجلة التي قدمه بها، حتى انها لم تنظر إليه وهو يخرج مع أخيه من البيت، ولم تلتفت لترى ماذا يفعل الولدان بالسيارة. ولكنها كانت تراقب ذلك من خلال المرآة التي كانت تكشف لها ما كان يجري داخلها، وقالت لورين:

- هذا ذكاء كبير منك... يبدو أن لك اللمسة السحرية.

وقال مارتن متمتماً من بين أسنانه:

- يجب أن تمتلكها فهي باحثة اجتماعية.

ونظر إلى شقيقته وكأنه يقول لها: «انظري الآن بما ورطيني به».

وقاطعتهما ويلما بهدوء:

- سيعود الولدان قريباً. بإمكاني القول لك انني سأتزوجك بالشروط التي ناقشناها والباقي عليك قراره، سأترك لك حرية الاتصال بي حالما توافق.

وأعطته إحدى بطاقاتها الشخصية، وعدلت وجهها إلى ما يشبه الابتسام فيما عاد الولدان إلى الداخل وأعلن روس بافتخار أن تحريك المقعد أمر سهل، وأنه سيعلمها الطريقة قبل أن تذهب.

● ● ●

٣ - لن أكون أماً!

بحلول يوم الأربعاء من الأسبوع التالي، كانت ويلما قد أقنعت نفسها بأنها لن تسمع أي خبر من مارتن، وما لم تفهمه لماذا عليها أن تتوقع هذا الاتصال. انه رجل صعب المراس والزواج منه أمر لا يؤسف عليه، لكنه اتصل بها مساء الخميس وشعرت بالإثارة والقشعريرة لسماعها صوته أقل خشونة مما تذكره مع قليل من التحفظ. ليقول لها انه فكر بكل شيء وانه يرغب في المضي قدماً بخطة زواجهما، شرط أن تكون لا زالت موافقة.

فكرت بأن تجعله ينتظر، ولكنها صباح ذلك اليوم بالذات، تلقت مكالمة هستيرية من روزي، فقالت له بدل التردد انها مستعدة.

- حسن جداً، بقي أمامنا فقط تحديد موعد الزواج، فيما يتعلق بي كلما كان ذلك أقرب فهو أفضل. فالعطلة المدرسية تبدأ الأسبوع القادم، واحتاجك معي لتولي أمر الولدين.

وأطلقت ويلما ضحكة هستيرية، ووافقت بهدوء على السرعة فقال:

- سأقوم بكل الترتيبات ثم اتصل بك، هل أنت مرتبطة

بمواعيد؟

راجعت ويلما مفكرتها وتأكدت من خلوها من المواعيد، ثم شكرته وكررت الموافقة وودعته. بدا الأمر لها حُلُماً، انه بالكاد يبدو حقيقياً. ففي مثل هذا الوقت من الاسبوع القادم قد تكون متزوجة بالفعل، والآن عليها انجاز ترتيبات خاصة، كأن تجد مستأجراً لشقتها ثم هناك عملها...

بحلول يوم الأحد، كانت قد أنجزت كل شيء، وفي الصباح اتصل بها مارتن، صوته خال من أي انفعال أو عاطفة وهو يقول لها انه رتب أمر المراسم عند الثالثة من بعد ظهر يوم الاثنين. وهذا يعني ان عليها إخبار روزي اليوم. ولم تكن وائقة كيف ستتمكن من اقناع شقيقتها بدورها كعروس مستقبلية، وهكذا أخذت الخطوة الجبانة واتصلت بها هاتفياً.

دفق الأسئلة التي تلت الاعلان تجمع أخيراً في دهشة وصدمة:

- تتزوجين؟ انت؟ لا أصدق! ويلي... أنت؟... لماذا؟

كان بإمكانها أن تقول لشقيقتها: «لأنك طلبت مني هذا وقلت بأنها الطريقة الوحيدة كي تقبلي واقع أن لا شيء بيني وبين زوجك» ولكن بطريقة ما استطاعت أن تكبح نفسها وتقول:

- اوه... للأسباب العادية المعروفة.

- ولكن لم تذكري كلمة عن الموضوع...

- حسن لم يكن للأمر اهمية... لقد قررنا هذا لتونا.

- اعتقد انك قابلته يوم إعداد البحث لكتابك. ولكن حقاً، كان عليك أن تقولي لي. فأنا شقيقتك أقرب الناس إليك منذ طلاق

والدينا.

- لم أستطع قول شيء لأنني لم أكن واثقة من جدية مارتن في الأمر. إن له ولدان من زواجه الأول... و...

- كان قلقاً من أن لا يقبلاك كما اعتقد... يا إلهي ويلي! لا يمكنني تصورك مع ولدي زوج. كم عمرهما؟

وأخبرتها ويلما عن عمريهما وانها قررت ومارتن ان يسرعا في الزواج قدر المستطاع لقرب حلول الإجازة المدرسية. فسألتها روزي:

- ومتى؟

أخذت ويلما نفساً عميقاً ثم أخبرتها. فشهقت روزي:

- في الغد؟ وهل انت جادة؟

في الوقت الذي انتهت فيه من اقناع شقيقتها بأنها جادة، وليست مجنونة، كانت تحس بألم الإرهاق في أطرافها. كما بدأت بالتساؤل عما إذا لم تكن بالفعل مجنونة فيما أخذت تتكون أمام عينيها صورة وجهين كئيبين صغيرين يراقبانها وهي تبتعد، وزوجين من العيون الزائغة العسلية تنظر إليها بقلة اكتراث تتذكرهما جيداً منذ أيام طفولتها. بديا لها معرضين لكل أنواع المخاطر، وبحاجة إليها، وكيف سيكون حالهما مع أب مثل مارتن: عدواني، متملك، ومع ذلك عاجز عن فهم سبب ألم ولديه؟

ما من شك لديها انه لم يكن يرغب فيهما أصلاً. وتذكرت ألمها عندما أدركت أن والدها أحب صديقته أكثر مما أحبها وشقيقتها.

شغلت نفسها فيما تبقى من النهار بملء الصناديق والحقائب

بأشيائها مرهقة نفسها إلى درجة انها ببلوغ الساعة التاسعة مساءً كان كل ما تريده هو الاستحمام والزحف إلى الفراش. وقفز قلبها هلعاً لسماع جرس الباب وأخذت نبضاتها تتسارع، إلى أن فتحت الباب لتجد لورين أمامها.

لماذا بحق السماء كانت تظن أن الزائر هو مارتن؟ ولماذا أحست بخيبة عندما لم يكن هو؟

واعتذرت لورين وهي تتبعها إلى الداخل:

ـ آسفة لتطفلي هكذا، ولكنني فكرت بمحادثتك بعيداً عن مارتن.

ونظرت إلى غرفة ويلما، باستحسان كبير:

ـ آه... أليس المكان جميلاً؟ مارتن ليس لديه أدنى فكرة عن شيء اسمه الديكور. عليك أن تسيطري على هذا الأمر هناك، فعلى الرغم من الأثاث المهترىء والسيارة الفظيعة، فهو ليس فقيراً بالتأكيد.

أجابتها ويلما بهدوء:

ـ ولكنني لا أتزوجه لأسباب مالية.

ـ أعلم... لقد أخبرني كل شيء عن شقيقتك وزوجها، وأرجو أن لا تمانعي، ولكنني لم أتركه بسلام حتى أخبرني.

ـ كما فعلت تماماً إلى أن وافق على رؤيتي.

واحمر وجه لورين وابتسمت لويلما بقلق:

ـ اعلم أن هذا يبدو نوعاً من السيطرة، ولكن عليك أن تفهمي إنني كنت متوترة جداً، وخاصة بالنسبة للولدين. إنهما لا يحباني، وعلي أن اعترف بهذا بعدما فعلاه بتيد، إذ لم أعد مشفقة جداً

عليهما، مع أنني آسفة لهما، المسكينان!

ـ أجل... إنهما مسكينان، الأمر ليس مبعث سعادة عندما يعلم الطفل أن أباه لا يريده.

وكانت لورين تنظر عبر النافذة، ثم استدارت قائلة بذهول:

ـ ماذا؟ من أين جئت بهذه الفكرة؟ مارتن يحبهما. لقد تمزق حزناً عندما افترق عن أمهما وطالبت بحق الحضانة فاضطر للتخلي عنهما، إنها هي من لم تردهما. حتى انها لم تكن تريد الزواج منه أصلاً. وعندما اكتشفت انها حامل حاولت الاجهاض، ولكن مارتن رفض وأصرّ على الاحتفاظ بالطفل. ونظراً لما مرّ به من عذاب معها، ولموتها الذي يعتبر نفسه مسؤولاً عنه صار يقابل بنات جنسنا بارتياب.

ولاحظت لورين نظرة الاستفهام على وجه ويلما، فسارعت لشرح ما حدث:

ـ الحقيقة انها كانت لعينة مدللة عصبية وأنانية، ولا عجب أن يكون الولدان خائفان لهذه الدرجة، فخوفهما نابع من الداخل.

ـ أجل هذا ما اعتقدته أيضاً

وتبادلت المرأتان نظرة طويلة، ثم قالت لورين:

ـ أنت تنوين الزواج منه إذن؟

ـ لقد قلت له إنني سأفعل.

ـ وهل قال لك ان هذا الزواج سيستثني...

ـ العلاقة الزوجية؟ أجل. لقد ناقشنا كل شيء، وبصراحة لو لم يكن الأمر هكذا لما وافقت على الزواج. يبدو إنني إحدى النساء

اللواتي لا يجتذبهن مثل هذه الأمور.

ـ حسناً... أتمنى لكما التوفيق على ما اتفقتما عليه... وإذا كان بإمكاني المساعدة...

لقد أحبت شقيقة زوجها القادمة، هذه كانت ردة فعل ويلما عندما غادرت لورين المنزل، لقد حصل بينهما ما يمكن تسميته بالألفة. وشرحت لها لورين أن زوجها يعمل في الخارج لشركة هندسة جسور عالية، ولكنها تتوقع رجوعه في القريب العاجل. وحذرتها قبل أن تبتعد:

ـ ستكونين مشغولة جداً مع روس وجو.

فابتسمت لها ويلما، وهي تقول لنفسها لن يكون الولدان سبب المشاكل، بل والدهما المتجهم العبوس. وصدمتها فكرة بأن الحياة ستكون لها أسهل لو أن مارتن كان أقل جاذبية.

كان سيتزوجان عند الثالثة من بعد ظهر الاثنين، والترتيبات تقتضي أن يلتقيا عند مسجل العقود «المأذون». وبعد مراسم الزواج يذهبان كل لوحده إلى القرية، حيث ستنقل اشياءها الخاصة من السيارة، ومن ثم تكمل نقل الباقي في الأسبوع التالي.

وما إن بلغت الساعة الثانية عشرة حتى اشتد بها التوتر أكثر من أي وقت مضى في حياتها، واقتنعت بالكامل انها لا بد مجنونة حتى لمجرد التفكير بالقبول بمثل هذا الالتزام.

في الثانية عشرة والربع، رن جرس الهاتف، ولكم تمنت أن يكون المتصل مارتن ليقول ان الزواج قد ألغي. ولكن ذلك لم يكن، بل كان المتحدث روزي، أساساً لتتمنى لها الحظ السعيد

ولتتأكد من أنها لم تغير رأيها حول عدم رغبتها في أن تحضر شقيقتها الزفاف. وما إن أكدت ويلما هذا حتى قالت بلهجة المذنب:

ـ اوه... ويلما أشعر بالحزن الرهيب على ما قلته لك، ولكنني كنت خائفة أن أفقد روجر، فلديك كل شيء لا أملكه أنا: ذكية... ناجحة... وروجر لا يتوقف عن مقارنتي بك. ولكم ارتحت لأنك ستتزوجين! وأنا واثقة أنه ما إن يتقبل فكرة ابتعادك عن المنال حتى يعود إليّ بالكامل.

وهكذا عرفت ويلما أن لا مهرب لها، وأن عليها أن تتم زواجها من مارتن.

عند الثانية والنصف، وهي تستعد للخروج إلى سيارتها للذهاب إلى مكتب «المأذون» توقفت سيارة «تاكسي» في الخارج، وهي تنظر إلى السيارة خرج مارتن... بدا غير مألوف في بذلته السوداء الرسمية وقميصه الأبيض الحريري، نظر إلى نافذتها، ولسبب ما أحست بقلبها يقفز من مكانه... ماذا يفعل هنا؟ فتحت له الباب، فيما أخذ ينظر إليها بصمت للحظات، وهو يرمق بإعجاب بذلتها الكتانية الكريم وحذاءها العالي الكعبين. وقال لها وكأنه يفسر سبب مجيئه:

ـ فكرت أن اجيء لاصطحبك... خشيت أن تفتر همتك.

وللحظات التقت عيونهما، وعرفت ويلما انه يشاركها في كل شكوكها، وانه مثلها مصمم على اتمام الزواج.

طوال الطريق إلى مكتب «المأذون» حاولت اقناع نفسها انها لا تفعل أكثر مما تفعله الملايين من النساء من قبلها وما سيفعلنه من بعدها، مذكرة نفسها كيف انها في كتابها تثمّن مؤسسة «الزواج

المدبر».

مكتب «المأذون» كان يسوده جو الاحتفال، فقد زيّن بالأزهار النضرة أما المأذون فكان رجلاً مرحاً فاتناً في أواسط الأربعين، حياهما مبتسماً.

المراسم كانت قصيرة، ولكن دون استعجال، وما أن انتهى كل شيء حتى أحست بخطورة ما فعلت. أحست وكأن «دوشاً» من الماء البارد قد انصبّ عليها. واستدارت دون وعي إلى مارتن لتقول له انها اخطأت، فرأته، دون أن تتوقع، يبتسم لها، ابتسامة حقيقية للمرة الأولى. فدارت الدنيا أمام عينيها، وكادت رئتاها تنفجران فقد نسيت أن تتنفس! وكان تأثير الابتسامة عليها أن تركتها مشلولة لا تستطيع فعل شيء سوى النظر إليه وفمها مفتوح.

- ويلما؟

الابتسامة اختفت، واللهجة الفاقدة الصبر في صوته أعادتها إلى الواقع.

- لقد تركت الولدين مع السيدة ماغفرسون، الخادمة اليومية، ولن تكون مسرورة إذا تأخرنا.

وبدا متجهماً، وكتمت تنهيدة خفيفة. وقالت له:

- هل يعلمان أننا سنتزوج.

لا زالت مترددة باستخدام كلمة «حولنا» في الإشارة إلى وحدتهما. لقد تزوجها فقط ليوفر لولديه الأم المناسبة، وليس لأنه يرغب بزوجة.

وقال لها:

- لقد أخبرتهما بهذا الأسبوع الفائت، بعد أن وافقت.

وتساءلت في نفسها: كيف استقبلا الخبر يا ترى؟ هل صدما أم دهشا؟ حسناً ستلمس هذا بنفسها بعد قليل.

لم تحس بنفسها متزوجة رغم المراسم، في الواقع لم تحس بأي فرق، بعض الإرباك فقط. ولم ترغب في التفكير بتلك اللحظة المنيرة التي اضاءتها ابتسامته في مكتب «المأذون». فتلك اللحظة، أثارت الكثير من الأسئلة في نفسها لم تكن ترغب أبداً في الرد عليها.

لم تظهر السيدة ماغفرسون الدهشة ولا الفضول عندما قدّم مارتن ويلما إليها كزوجته، بل حيتها بابتسامة رسمية، معتذرة بأن عليها العودة بسرعة إلى البيت.

وتبعها الولدان إلى غرفة الجلوس ووقفا إلى جنب ينظران إليها.

وأحست بشيء يحطم الأعصاب في هذا التفحص الدقيق الصامت، وأجبرت نفسها أن لا تكسر الصمت بحديث فارغ، فمن الأفضل أن تتركهما يقتربان منها عندما يكونان مستعدين.

ابتسمت لهما، ثم استدارت إلى والدهما بدون أن تكلمهما:

- لو أنك تريني غرفتي... وسأبدأ بتفريغ الحقائب من السيارة. وسأحتاج إلى غرفة أعمل فيها.

فقال لها مارتن:

- في المنزل ستة غرف. ولقد اخترت لك غرفة لها ملحق لا بأس به كنت أفكر بتحويله إلى حمام، ولكن لسبب ما لم استطع. فإذا وجدتها صغيرة للعمل فيها، سأجد لك مكاناً آخر. مع أن

المكان ضيق في الطابق الأرضي حيث يحتل مكتبي وغرفة استقبالي حيزاً كبيراً.

وقالت له وهي تتبعه إلى الطابق العلوي:

ـ أوليس هذا طراز قديم؟ أعني المكتب وغرفة الاستقبال، ففي الأماكن الحديثة هناك مختبرات خاصة مع تجهيزات مكتبية لمثل هذه الأمور.

ـ صحيح، ولكن في المجمعات الزراعية الكبيرة والغنية، وليس في مكان ريفي مثل هذا.

ـ ولكن ماذا يحدث في حال حدوث شيء طارىء وأنت لست في المنزل؟

ـ عليهم عندها الانتظار، فأنا أغطي في خدمتي مساحة خمسين ميلاً. وعندما تكون الخدمة إلى أبعد من هذا، سأحتاج إلى معدات خاصة. ولقد كنت أضغط على السلطات لتمويل مشروع إقامة مركز كالذي ذكرته مع سيارات خدمة تؤمن المعدات لاجراء الفحوصات ورش المبيدات والعناية بالحيوانات. وهناك مكان واسع في الأرض التي حولنا لمثل هذا المركز. ولكن السياسة السائدة هذه الأيام هي تخفيض ميزانية الخدمات العامة لا زيادتها.

من لهجته، استشفت الاحباط، مما غيّر من نظرتها إليه، وأعطاها فرصة لتغيير الأفكار التي كانت لديها عن أطباعه السيئة.

ودخلا ممراً مستطيل الشكل له عدة أبواب. الأرض لم تكن مكسوة بالسجاد والجدران وسخة بحاجة لتنظيف وتلميع. ولم يكن العمل المنزلي من النشاطات المرغوبة لدى ويلما، ولكن المدرسة الداخلية، التي دخلتها وشقيقتها بعد طلاق والديهما، كانت تعير

النظافة والوساخة اهتماماً كبيراً متزمتاً. هل لدى مارتن من يساعده في الأعمال المنزلية؟ لا بد أن يكون هذا... ولكن ما شاهدته حتى الآن يحمل الكثير من الإهمال. كم تجهله وتجهل طريقة عيشه، والتي ستكون من الآن وصاعداً طريقة عيشها هي أيضاً.

ولحقت به إلى داخل غرفة فتح بابها، كانت كبيرة، ولكنها مفروشة بأثاث رخيص: سجادة قديمة الطراز مربعة لها لون باهت تغطي معظم الأرضية. ولاحظت أن الأطراف البعيدة عن السجادة مغطاة بمشمع مشقق قذر ذكرها بآخر مرة شاهدت مثله في منزل جديها وهي طفلة. والتفت إليها:

ـ إنها ليست غرفة في فندق «فخم» أعلم هذا.

صوته كان جافاً ومعادياً قليلاً وعندما نظرت ويلما إليه كان يرقبها وعيناه ضيقتان، يزداد لونهما زرقة من تحت رموشه الكثيفة السوداء. شيء ما بداخلها انقلب إلى سائل حار، إحساس مقلق جعلها تحس بالضعف. ومضت عدة لحظات كي تتغلب على هذا الإحساس وتقول بهدوء:

ـ أرجو أن لا تمانع في اجراء بعض التغييرات في المنزل، وعلى نفقتي بالطبع.

وأحست بالقساوة تطل من عينيه، وعلمت بأنها اخطأت.

ـ لقد اشتريت المنزل كاملا مع أثاثه من مالكه السابق. لقد عاش هنا طوال حياته، بإمكانك فعل ما تشائين في الديكور والأثاث، ولكن أنا من سيدفع.

وهكذا أوقفها بفعالية عن فعل أي شيء ما عدا الضرورات

الأساسية. وأغضبها أنه يجرؤ على إصدار الأوامر إليها بهذه الطريقة. فقالت بهدوء:

- لماذا لا نتقاسم المصاريف؟ بهذه الطريقة لن أشعر بالذنب إذا بالغت في الصرف هنا أو هناك.

وارتاحت عندما رأته يهز رأسه موافقاً، وتخطاها ليفتح باباً آخر في الغرفة.

- هذه هي الغرفة «الملحق» التي قلت لك عنها لها باب مشترك مع غرفتك وواحداً آخر إلى الممر الخارجي. إنها صغيرة... ولكن...

وأكدت له ويلما:

- ولكنها تكفي حاجتي.

واقتربت لتنظر إليها من الداخل، ولأنه كان يستند إلى الباب، كان عليها أن تقف قربه وتتطلع من فوق ذراعه، وأخذت تقيسها نظرياً لملائمة مكتبها ومعدات الكومبيوتر. ونظر إليها وقطّب، ثم فتح فمه ليقول شيئاً ولكنه أقفله وهو ينظر من فوق كتفها إلى غرفة النوم.

والتفتت ويلما فوراً، لتجد روس وجو يقفان عند الباب المفتوح.

- هل ستعيشين هنا الآن؟

السؤال لروس، ولهجته عدوانية، ولكنها لم تترك هذا يؤثر عليها. فالأطفال الذين يمرّون بمثل هذه التجارب القاسية من المفترض أن يكونوا مرتابين بأي تغيير قد يطرأ على حياتهم.

يريدون المعرفة ولهم الحق بالمعرفة، كم وجودها سيدوم أو لا يدوم. وردت عليه بهدوء:

- أجل... سأقيم هنا.

- وهل هذا يعني إننا لن نضطر للبقاء مع تيد بعد الآن؟

سؤال طرحه جو، فقد جاء دوره، وتركت نفسها تسترخي وابتسمت:

- هذا صحيح... لقد فكر والدكما أن من الأفضل أن تبقيا هنا في منزلكما، ولكن بما أنه مضطر للخروج إلى عمله، تزوجني كي أبقى معكما وأرعاكما.

لقد فكرت بمشكلة الولدين كثيراً منذ أن وافقت على هذا الزواج، ووعدت نفسها أن تكون صريحة معهما وصادقة قدر الإمكان، كي لا يكون بينهم سوء تفاهم، فطفلان مليئان بالريبة والخوف مثلهما يحتاجان للطمأنينة في قول الحقيقة. وسألها جو ثانية، ولهجته مسترخية بارتياح خفيف:

- وهل ستخرجين للعمل؟

- أنا أعمل... ولكنني سأعمل هنا في هذه الغرفة.

- هذا يعني أنك ستكونين هنا دائماً؟

مرة أخرى ظهرت الريبة في صوت روس. فردت عليه بصوت مُطمئن:

- معظم الوقت، أحياناً قد أبتعد لإكمال بعض الأعمال، ولكن ليس كثيراً. كما أنني لن أعمل كثيراً سوى بعد عطلة المدرسة.

وراقبتهما بهدوء، ثم أخذت نفساً عميقاً، إنهما كبيران ما يكفي

ليكونا جادين في علاقات الكبار، وأرادت أن يعرفا منذ البداية أنها هنا إلى جانبهما كشخص مهتم بهما وليس كسجّان. فقالت:

ـ نحن الأربعة هنا أصبحنا عائلة الآن، علينا التعرف إلى بعضنا أولاً ولنعرف ما إذا كنا سنحب بعضنا وهذا سيستغرق وقتاً.

وسألها جو:

ـ وهل هذا سيعني أنك ستكونين أمنا؟

على الفور تغير وجه روس، وأصبحت عيناه مريرتان ومعاديتان، وقال بخشونة من تحت أسنانه:

ـ لا نريد أماً أخرى... فالأمهات يتركن أولادهن ويذهبن بعيداً.

وأحست بنفسها تبكي في داخلها لأجله، ولكنها تعرف أن الوقت غير مناسب لإظهار العواطف. فردت عليه مستجيبة لسؤال جو متجاهلة تعليق روس:

ـ لا... لن أكون أمكما يا جو.

ونظرت إلى ساعتها متعمدة ثم سألت بهدوء:

ـ هل أعطتكما السيدة مغفرسون الشاي؟ إنها تقريباً السادسة الآن، فإذا لم تفعل، أعتقد أن الوقت حان لتناوله.

وعلمت أن السيدة ماغفرسون لم تقدم إليهما حتى وجبة طعام، فنزلت ويلما إلى المطبخ، حيث كافحت كثيراً لتتغلب على قرفها من حالته المزرية.

هذا المنزل ليس «بيتاً». ونظرت إلى دهان الجدران المليئة بالأوساخ، ولاحظت أن خزانة الرفوف القبيحة التي تتكىء إلى

الحائط تكاد تقع. والتفتت إلى مارتن، وقد أزعجها إنه لم يحاول أبداً أن يقدم لولديه مكاناً أكثر راحة من هذا، فباعترافه، هو قادر على تحمل التكاليف. ولكنها لم تجد فائدة من تكرار الكلام معه في هذه المرحلة، فقد أعطاها الضوء الأخضر للتعامل مع المكان، وهذا يكفيها. البراد والخزانة كانا فارغين تقريباً، فقال لها مارتن بعجز:

ـ لورين تأتيني ببعض الخضار والأطعمة عندما تصطحب الولدين إلى المدرسة كل يوم جمعة. والسيدة ماغفرسون تعتني بالباقي.

ولم تجد ويلما شيئاً يأكلونه تلك الليلة سوى البيض المقلي. ثم تناولوا الشاي بصمت، وسرّها أن تشاهد الولدين وقد أكلا كل ما في الصحن، فقد كانت غلطة أن يكونا غير راغبين في الأكل وبحاجة إلى تشجيع كي يأكلا. ولا بد أنهما تعودا على روتين معين خلال إقامتهما مع عمتهما ولكن الآن هناك فترة انتظار لها قبل أن تضع القوانين المناسبة.

وأنهى الجميع طعامهم، واعتذر مارتن بأن لديه عمل يقوم به، وهذه إشارة فهمتها ويلما بأنه لا يريد الإزعاج. فأخذت الصحون إلى المطبخ وبدأت تغسلها ولم يعرض أي من الولدين المساعدة، بل أخذا يدوران حولها يتفرجان على كل شيء تفعله. وبعد الانتهاء قالت بهدوء:

ـ حسناً... سأفرغ أغراضي من السيارة الآن.

ولحقا بها، وأخذ روس يرمق سيارتها الجاكوار، بتحرق

وشوق. وبسمة صغيرة بدأت بإخراج أول حقيبة من صندوق السيارة.

وكانت في منتصف طريقها صعوداً إلى غرفتها عندما سمعت أصواتاً وراءها فاستدارت لترى روس وجو يتسلقان السلم بدورهما يحملان حقيبة أخرى. وكانت هذه بداية جيدة أفضل مما كانت تأمل، ولكنها تعرف بأن أمامها طريق صراع فظيع وطويل. وصدمها أن الزواج الذي قبلت به ارضاء لشقيقتها قد أخذ يتجه اتجاهات مختلفة. فهو زواج دخلته «كأمر واقع» وبسبب عمق مشاعرها بالمسؤولية تجاه شقيقتها، بدا الآن وقد وسّع مسؤولياته لتشمل ولدي زوجها.

• • •

٤ ـ الخط الأحمر

ـ ويلي...؟

ورفعت ويلما نظرها عن أرض الحديقة التي تزرعها بالبذور، وردت شعرها إلى الوراء:

ـ أنا هنا يا روس!

لقد مضى شهر على زواجها من مارتن. تغيرت حياتها خلاله إلى درجة كانت تشعر بأنها أصبحت شخصاً مختلفاً تماماً عن ويلما التي جلست بمنطقية وهدوء تبحث لنفسها عن زوج في سبيل أن تحمي شقيقتها الكبرى، وان تضع نظرياتها قيد الاختبار.

ما ان سمعت روس قادماً من خلفها حتى استدارت لتبتسم له، ملاحظة بقع الغبار على ركبتي بنطلونه الجينز، وأنه بعد أربعة أسابيع قصار قد كبر خمس سنتيمترات، وجلست تنتظر لتعرف ماذا يريد فقال لها باهتمام:

ـ لقد وصل عمال الديكور ويريدون رؤيتك.

أول الأولويات التي فكرت بها لمنزلها هو إعادة ديكوره. لقد أمضت أسبوعاً ترسم الغرف بدقة ثم جمعت أفكارها قبل أن تنقلها لمارتن. ودرس رسماتها بهدوء وصمت عدة ثوان متوترة، وبهدوء غير متوقع منه سألها:

ـ وماذا عن غرفتي؟ أنت لم تشمليها بالدراسة.

انه إهمال متعمد. فقد كانت ويلما تعرف انه لا يريد زوجة بمعنى الوصف، على الأقل ليس على أساس شخصي، لذلك سعت لأن تبتعد عن طريقه قدر المستطاع، ولم يكن هذا بالمستحيل، نظراً للساعات الطويلة التي يغيبها عن البيت في عمله في المزارع والحقول البعيدة الشاسعة، كما انها امتنعت عن أي شيء قد يعتبره تدخلاً في خصوصياته.

ـ فكرت أن يكون لك آراؤك الخاصة فيما تريده.

ـ قد استفيد من خزانة رفوف واسعة.

ـ هناك مؤسسة سترسل من يأخذ المقاييس لمطبخ جديد. وكل غرف النوم بحاجة لخزائن رفوف مناسبة. إذا رغبت سأجعلهم يلقون نظرة على غرفتك.

ووافق على ما قالته كما وافق على الرسومات.

المؤسسة التي اتصلت بها كان بإمكانها تركيب كل متطلبات غرف النوم على الفور تقريباً، أما المطبخ فإن تجديده سيتطلب وقتاً أطول لتنفيذ أفكار ويلما وما طلبته. وسمحت لروس وجو بأن ينتقيا فرش غرفهما وورق جدرانها بنفسيهما ولدهشتها أظهر روس ذوقاً فنياً رائعاً، وهذا شيء صممت أن تشجعه عليه.

مراقبة ولديها بالتبني وهما يخطوان معها خطوة خطوة في تجديد المنزل، جعلها تعرف تماماً لماذا استقبل الولدان وجودها بشكل ممتاز. فقد استطاعت ملاحظة علامات محددة تدل على التحسن، ولكن على الأخص في جو الصغير، والذي اعتقدت أنه من المتوقع أن يظهر عليه التحسن لأنه كان مجرد طفل عندما افترق

والداه.

وقال لها روس وهما يتجهان نحو المنزل لتقابل عمال الديكور:

ـ وجهك متسخ!

حاولت مسح وجهها، ناسية انها لا زالت ترتدي قفاز العمل في الحديقة فضحك روس:

ـ انت تزيدين الأمر سوءاً.

فانحنت نحوه، محاولة أن لا تبتسم عندما أخرج منديلاً متسخاً وأخذ يمسح بعناية الوحل عن خدها. هذا الولد العدواني أصبح أكثر حساسية. فعندما يبتسم لها، تستطيع الإحساس بقلبها يقفز. وهذا الشعور تكنّه للاثنين معاً، ولكن بشكل خاص لروس. ولم تكن من قبل قد اختبرت مشاعر الأمومة قبل زواجها من مارتن، ولكن شيئاً ما في ولديه قد لمس قلبها بغرابة، ولا يمكن لها إلا أن تعزوه لعذاب طفولتها ولفهمها لبؤسهما.

ولسوء الحظ فإن التجاوب الذي اظهره الولدان إزاء ويلما لم يمتد ليشمل والدهما، فروس بقي على عدائه المفتوح لوالده، وحتى الآن لم تتمكن ويلما من معرفة السبب، ولكنها شكت أن يكون لهذا العداء علاقة بموت امه. ولم تحاول فرض الثقة بها فرضاً، بل تركتهما يتحدثان إليها لوحدهما، وكانت تتأكد دائماً انها موجودة لتستمع إليهما عندما يريدان التكلم.

كان عمال الديكور يريدون رؤيتها لمجرد التأكد من خطة العمل قبل أن يبدأوا، وما ان أكدت لهم هذا حتى انشغلوا في إدخال

السلالم وأوعية الدهان.

سألت روس:

ـ أين جو؟

كانت قد قررت زيارة شقيقتها ولدهشتها تطوع الولدان للذهاب معها، وأجابها روس:

ـ انه فوق يغير ملابسه.

ـ آه... الأفضل أن أفعل هذا بنفسي، والأفضل أن تحصل أنت أيضاً على بنطلون جديد. أنت تقفز إلى الأعلى وكأنك نبتة الفاصوليا، وأظن أنك ستصبح أطول من أبيك.

وكالعادة عندما يذكر اسم مارتن يتجهم وجه روس، ولكن ويلما ادعت انها لم تلاحظ، وعلقت بعفوية على أن من المؤسف أن يكون مارتن مشغولاً ولا يرافقهما.

فقال روس بصوت كالح:

ـ أنا سعيد لأنه لن يأتي.

ـ ألا تحب أباك يا روس؟

قالت له هذا متحدية، وقد أحست انه آن الوقت لها لأن تتوقف عن تجاهل الأمر.

ورد عليها روس مقطباً:

ـ انه لا يحبنا. لم يكن يريدنا. امي قالت لنا هذا.

وقالت له ويلما بلطف ولكن بحزم:

ـ اظن انك مخطىء يا روس. في الواقع أعرف انه يحبكما معاً وكثيراً، لأنه قال لي هذا.

ـ ليس لديه الوقت لنا.

وحاول قلبها الافلات ليحتضن الطفل النحيل، ولكنها قاومت مشاعرها وقالت:

ـ هذا لأنه مشغول دائماً يا روس. فكونه المهندس الزراعي يعني أن عليه دائماً أن يكون في أماكن بعيدة، ليتفحص المزروعات التي يعتمد أصحابها عليه لنجاحها.

وكان روس لا يزال يبدو غير متقبل لهذا الكلام، وأحست أن الضغط على المسألة قد يؤدي إلى الضرر أكثر من النفع، فتوقفت عن خوض الموضوع، فمن الصحيح أن مارتن مشغول دائماً مع زبائنه أو في مختبره إلا أنه من الصحيح كذلك انه في الأمسيات يميل إلى قضاء وقت فراغه في مكتبه بدل أن يجلس معهم في غرفة الجلوس. ولم تكن ويلما واثقة ما إذا كان السبب هو رغبته في تجنبها أم لا.

كانت روزي ترتاح في حديقة منزلها عندما وصلوا، وقدماها مرفوعتان، جسدها عاد ممتلئاً ووجهها مرتاح، وحيت شقيقتها بعناق حميم وقبلات عاطفية، وقد ظهر حملها الآن.

ـ لقد ذهب جوزف للعب مع بعض الأصدقاء، وروجر مسافر لبضعة أيام في عمل.

وتمنت ويلما أن لا يظهر امتعاضها، فهي واثقة، ان سبب سفره ليس العمل وحده، ولكن فليكن هذا طالما ان شقيقتها سعيدة، ولم يمكثوا طويلاً، وعندما عادوا إلى المنزل لاحظت ويلما كم ان أساس حياتها كله قد تغير، فقد كانت روزي محط اهتمامها الوحيد، ولكن يبدو أن تركيز الاهتمام الآن اصبح للولدين.

لأول مرة منذ زواجها وجدت مارتن في المنزل ينتظر قدومهم لتناول الطعام. وجوده على الطاولة وتّر أعصابها ولم تستطع فهم السبب. وكلما كانت معه في نفس المكان، تجد نفسها تكافح جاهدة لأن تعطيه الانطباع بأنها لا تهتم به شخصياً، دون أن تفهم حاجتها لهذا. ووجه مارتن سؤالاً للثلاثة:

ـ وماذا كنتم تفعلون اليوم؟

أجابه جـو:

ـ بعد الظهر ذهبنا لزيارة شقيقة ويلما... ستلد طفلاً.

وأخذ ينقل عيناه من والده إلى ويلما وبالعكس، ثم سأل بكل فضول:

ـ هل يرزق كل المتزوجين أطفالاً؟

عبر الطاولة التقت عينا ويلما بعيني مارتن وللغرابة فعلت تلك النظرة اشياء غريبة لنبضات قلبها، وحاربت اندفاعاً للابتسام وركزت على الإجابة على جـو:

ـ ليس كلهم.

وتابع بإصرار:

ـ ولكن هل ستنجبان انتما طفلاً؟

ولمحت بسرعة وجه روس المتحطم، وفهمت على الفور سبب صمته طوال طريق العودة وطوال المساء. فأجابت جـو بحزم:

ـ لا.

ولكنها نظرت باتجاه روس وهي تحس بقلبها ينعصر. فهي تعرف الشعور بالعذاب بينما والدها ينجب عائلة أخرى وربما تكون أعز عليه من التي هجرها.

بعد نوم الطفلين قررت أن تنصرف إلى عملها، وكانت مستغرقة فيه عندما سمعت باب غرفة النوم يفتح، وظنت أنه لا بد أحد الطفلين، فنهضت نحو الباب الموصل بين الغرفتين. ولكن الصدمة أوقفتها دون حراك بعد أن شاهدت مارتن يدخل غرفتها:

ـ آسف لو اضطررت لازعاجك.

كم كان صوته عميقاً، وكم أرسل من رعشات دقيقة في جسدها.

وتابع:

ـ ولكن أظن الوقت حان لنجلس ونتحدث قليلاً.

ـ أتريدني أن أنزل إلى الطابق الأرضي!

كم أنها مهذبة وثابتة الأعصاب، وكأنها تلميذة مدرسة تُستدعى أمام معلمتها لتسمع محاضرة. وجلس على السرير وترك لويلما أن تجلس على المقعد ثم قال:

ـ لا... هنا مكان رائع... يبدو انك متفقة جيداً مع الولدين.

ـ انهما يتجاوبان معي.

ـ أكثر بكثير من تجاوبهما معي.

ـ انهما حذران منك، وأظن انهما خائفان من الثقة بك، بسبب الطلاق.

ولاحظت الحزن في عينيه، وتمنت لو انها لم تضطر لأن تقول له هذا، ولكن هذه هي الحقيقة، وتابعت:

ـ لقد قال لي روس بعد ظهر اليوم انه يعتقد انك لم تكن تريدهما. وقلت له انه مخطىء. ولكن قضاؤك وقتاً طويلاً في العمل لن يساعد في تحسين علاقتك بهما.

ـ أعرف هذا، ولكنني لم أكن أريد التحدث بخصوص الولدين.

لم يكن ينظر إليها، بل كان مقطباً، وأحست بالبرد، وكأنما الثلج يلامس بشرتها. هل سيقول لها ان الأمر لم ينجح، وانه يريد أن ينهي زواجهما؟ الخوف الذي تسارع في نفسها كان يتوضح لها صادماً. ولكنها لم تعترف بالحقيقة، مقنعة نفسها بانها تريد البقاء لأجل الولدين. ولكنه فاجأها بالقول:

ـ من وجهة نظري هذا الاتفاق ناجح وبشكل رائع، أفضل مما توقعت. لقد تعود الولدان عليك، وهذا واضح، ولكن ماذا عنك ويلما؟ الليلة عندما ذكر جو الأطفال، صدمني أن تكون وجهة نظرك أن الزواج صفقة سيئة. أعترف بأنني عندما أخبرتني لورين بما فعلت أصبت بالغضب الشديد لأنني وبالرغم من أنني أكره الزواج المدبّر والذي لم أكن راغباً به، ولكن التخلي عن سعادة الزوج والأولاد، وارضاء جنون شقيقة، أمر كثير على امرأة، وخاصة إذا كانت شابة جذابة مثلك.

وارتجف جسدها عندما رفع عينيه لينظر إليها. جذابة، أهكذا قال؟ ولكنه لم يقلها بطريقة تجعلها تحس بأنه يفكر بأنها جذابة بالفعل. كان هذا مجرد رأي لمراقب. وتابع:

ـ كذلك يجعلني هذا أفكر ماذا حدث في ماضيك ليجعلك ترضين بزواج دون تنفيذ.

هل يحاول أن يستكشف وجهة نظرها؟ هل يشك في انها ترغب به؟ وملأها مزيج من الخوف والسخط، بالطبع ليس هناك شيء في

ماضيها ومن السخف الآن أن ترغب في رجل أوضح لها جلياً انه لا يرغب فيها. وجعلت صوتها يبدو خفيفاً ودون اكتراث:

ـ ليس لدي شيء أخفيه إذا كان هذا ما تسأل. فالعلاقة الزوجية لا تعني لي شيئاً في حياتي، وأشك في أن يكون هذا هو شعور كثير من النساء. فمعظم بنات جنسي يضعن الحب في الدرجة الأولى.

ـ وأنت لا تؤمنين بالحب؟

ـ أنا لا اؤمن أن الوقوع في الحب، والرغبات التي يجلبها، هي الأساس المتين للزواج الناجح. لا... فالحب كما نعرفه اليوم هو اختراع عصري، بينما الزواج... اوه... لقد تكلمنا عن هذا سابقاً... ولكن إذا لم تعد سعيداً بالعقد الذي بيننا...

وأحست بتركيزه بحدة، وتقلصت معدتها عندما استدار ليركز نظره عليها:

ـ ماذا تعنين بالضبط؟

ـ إذا كنت تشعر ان زواجنا لم ينجح، بإمكانك طلب انهائه.

ـ أتعنين أن هذا ما تريدينه؟

فهزت رأسها بسرعة وأجابت بلهفة:

ـ لا... ليس هذا... انظر، أنت من أردت الحديث معي، واؤكد لك انني راضية بالأمر الواقع.

ـ وهل أنت راضية بزواج ليس بالزواج، بحياة عزوبية كاملة؟ لماذا؟

لم تكن ويلما تحب أن يحلل أحد مشاعرها هكذا، انها تشعر وكأنها ستفقد السيطرة، أو أنها ستقع في خطر. فقالت:

ـ ربما لأنني لا أشعر بالرغبات الجسدية. بعض الناس خلقوا

هكذا.

ـ صحيح... ولكن لا بد أن هناك سبباً آخر، يكون فيه الزواج مجرد ستار يخفون وراءه علاقة محرمة.

وأحست ويلما بالتوتر، هل يتهمها بالفعل بأن لها علاقة ما؟ وانتابها الغضب مجدداً... هل يصدق حقاً انها كذبت عليه؟ ونظرت إليه بحنق وقالت:

ـ ولكنني سبق وقلت لك إنني لست هكذا.

ـ أجل لقد فعلت.

ودون كلمة أخرى وقف وغادر الغرفة مغلقاً خلفه الباب.

كل رغبتها في العمل تبخرت، وأحست من الداخل أن أمواجاً من المشاعر المتناقضة تتلاطم. لماذا أحست بالخوف من أن يقول لها إن الزواج يجب أن ينتهي؟ ألأنها تهتم عميقاً بالولدين؟ بالطبع! انه تفسير مريح ولكن هناك شيء لا يزال يزعجها. لم تستطع إلا أن تذكر عندما قابلت ذانك الزوجان اللذان دبر زواجهما الأهل، فقد قال كلاهما انهما بالرغم من قبولهما بالزواج كغريبين، إلا أن الحب سرعان ما ولد بينهما.

أهذا ما تخافه؟ انها قد تحب مارتن كما أحبت ولديه؟ كم هذا سخيف! فزواجهما يبعد كثيراً عن أنواع الزيجات التي قامت بتحليلها.

بعد يومين أعلن عن اضطراره لحضور مؤتمر حول الأدوية الزراعية، ربما يتغيب ليلة أو أكثر. وسافر يوم الأربعاء صباحاً، بعد الافطار مباشرة، والأربعاء كان اليوم المحدد لتأخذ ويلما الولدين

إلى المركز الرياضي على بعد خمسة عشر ميلاً من القرية. ليتعلما السباحة.

كانا دائماً يربطان بين الخروج وبين تناول «الهامبرغر» والآيس كريم، الأمر الذي تعتبره ويلما طعاماً تعافه النفس، ولكنهما يحبانه. وكانت قد بدأت بإلزامهما ببعض التغييرات في نظام الأكل، مستبدلة الطعام المعلب، والخضار المثلجة بالطازجة، ومستعيضة بالخبز المشبع عن خبز العجين الأبيض. ولاحظت أن مارتن، وخلال أيام زواجهما الأولى لم يكن مهتماً بالطعام، ولكنه يلتهم الآن الوجبات بشراهة.

كذلك أزعجها أن الولدان ليس لهما اصدقاء، وصممت انهما متى عادا إلى المدرسة ستشجعهما على الاتيان برفاق المدرسة معهما إلى المنزل.

بالمختصر، فإن الحياة العائلية قد أعجبتها، وكشفت لها عن جانب مجهول من شخصيتها. وعزت الأمر إلى أن مراهقتها كانت غير سعيدة، ولطالما تساءلت ما إذا كانت محاولتها اعطاء الولدين الأمن الذي لم تعرفه وهي في عمرهما، انما هي محاولة لاعادة كتابة ماضيها.

وبالرغم من أن مارتن لا يمضي الكثير من الوقت معهم، إلا انها أحست بفراغ غيابه عند عودتها والولدين إلى المنزل. الثلاثة كانوا متعبين، وكانت هي في الفراش عند العاشرة والنصف، مسترخية سعيدة بالنوم.

أيقظها شيء ما في ساعات الصباح الأولى، وأمضت عدة

دقائق وهي تتقلب بين النوم واليقظة، وعندما لم يتكرر الصوت، حاولت العودة للنوم. ولكنها كانت قد صحت تماماً وجفاها النوم.

ونزلت إلى المطبخ دون أن تضع شيئاً يستر ما بدا تحت غلالة النوم. وكالعادة كانت قد تركت الضوء في الممر بين الغرف مضاءاً لأن روس تنتابه الكوابيس ليلاً ويخاف من الظلمة، وأبقت بابه مواربا كي تسمعه إذا ناداها. وتثاءبت وهي تفتح باب المطبخ لتقف مدهوشة.

كان مارتن يقف أمام الغلاية بانتظار الحليب ليغلي. واستدار عندما سمعها تدخل. غير المنشفة التي يلفها حول وسطه، لا يضع شيئاً... وبشرته وشعره مبللان.

ـ هل هناك خطب ما؟

وأحست بخفة وزن غريبة تحط عليها، غير قادرة أن تسحب نظرها عن جسده. انه جميل بشكل عظيم... جسده قوي كله عضلات، ويغطي صدره شعر رقيق ناعم أسود.

ـ ويلما؟

وبطريقة ما استطاعت أن ترفع نظرها إليه.

ـ لقد ظننت إنك لن تأتي الليلة.

ـ لقد غيرت رأيي. لقد انتهى المؤتمر باكراً. ماذا تفعلين هنا؟ ألست على مايرام؟

وأحست فجأة، بشكل سخيف، كم هي رقيقة غلالة نومها وواقع أن الضوء في المطبخ قوي بما يكفي ليرى من خلاله.

وماذا لو رأى؟ الجسد الأنثوي ليس سراً لديه، وهي تعرف انه

لا يهتم بها.

وقالت له:

ـ لا، ليس بي شيء، مجرد انني عطشى، شيء ما أيقظني.

ـ ربما صوت الدوش... أنا آسف.

تقدمت نحو المغسلة، وأدارت الماء البارد وتركت الماء يجري.

ـ أريد الحديث معك حول الكومبيوتر.

واستدارت إليه تراقبه وهو يصب الحليب في كوبه. وتقدم منها يحمل الصينية، فتراجعت إلى الوراء، وكرهت نفسها على هذه الحركة، لماذا تشعر دائماً بالتوتر عندما يقترب منها، ولماذا تشعر بحاجتها لأن تبقى على مسافة منه؟

وجاءها صوته ساخراً:

ـ لا تقلقي... لن أحاول غزو ما تخفيه عني.

واحمر كل جسدها عندما أدركت أنه أحس بما تفكر فيه فسألته مرتبكة:

ـ ماذا تريد أن تعرف... عن الكومبيوتر... أعني؟

وأحست بأنها وهي تتحدث معه سطحياً بكل هدوء، كان داخلها، وعلى المستوى البدائي عميقاً كانت تحس بوجوده فعلياً، وملايين أجراس الانذار بدأت تدق في أطراف أعصابها.

ـ أريد أن أعرف ما إذا كان قادراً على التعاطي مع أعمالي المكتبية. لقد تحدثت مع زميل لي يستخدم واحداً.

ـ لست أرى مانعاً. انه طراز حديث وقادر على استيعاب مختلف أنواع الاسطوانات.

وتقدم ليضع الصينية والابريق في المغسلة، ولامس ذراعه العاري ذراعها. وأحست باندفاع إحساس غريب غير مألوف ينطلق بجنون في شرايينها، مجرد تلامس كلمس الحرير لبشرته على بشرتها سبب لها رد فعل كهربائي جعل عضلات معدتها تنكمش وأنفاسها تعلق في حلقها. وقال لها:

- ربما نبحث الأمر في الصباح.

- بالطبع.

- هل حقاً تكرهين ابناء جنسي؟ أم انني أنا فقط من يثير فيك هكذا مشاعر؟

وأجفلت، وتوقفت عن الحركة، واهتز صوتها وهي تجيب:

- لست أدري ما تعني.

- بل تعرفين وحق الجحيم.

ومد ذراعه، وأطبقت يده على معصمها ليجذبها نحوه بقوة لم تستطع معها مقاومته. وقرّبها على بعد اصبع من جسده، رافضاً أن يخفف من قبضته عليها وقال بصوت جاف ساخر:

- يجب أن تري نفسك الآن يا ويلما، أنت متجمدة من الفزع، مع أن جسدك في الواقع يصرخ أن اتركني وهكذا تبدين كلما اقتربت منك. اوه... لا تقلقي، لن أتخلى عنك أبداً.

ولكنها عندما تركها كان جسدها كله قد بدأ يرتجف، وتراجعت إلى الخلف بعيداً عنه على الفور وهي تتمنى لو تفهم ذلك الغضب الأسود الذي يلمع في عينيه. لم تستطع تحمل لحظة أخرى معه في المطبخ، ونسيت عطشها، واستدارت راكضة نحو الباب.

طوال صعودها إلى فوق كان قلبها يخفق داخل جدران

صدرها، وساقاها ضعيفتان حتى انها استطاعت أن تحس بارتجافهما. وكانت غير قادرة على تفسير ردة فعلها تماماً كما أنها لم تكن قادرة على فهم سبب رد فعل مارتن.

• • •

www.elromancia.com

٥ ـ شرارة منطفئة

عدم قدرتها على تفسير هذا التجاوب مع وجود مارتن يقلقها وكأنه الإنذار الدائم بالألم في «ضرس» متسوس. ذلك الغليان الذي يسري في دمها كلما اقترب منها والذي كان يدفعها للهرب بدل القتال، وللحذر بدل المواجهة، ولكن ماذا هناك يا ترى لتواجهه؟

ما إن خمدت تلك المعارضة الأولية فيه تجاه زواجهما، حتى أصبح زوجاً مثالياً. وقد شرح لها أن جزءاً من توتره يعود إلى ذلك الوقت الذي حددت فيه لورين الموعد بينهما.

اشتد ضغط العمل على مارتن وهو ما أثار ويلما، ووجدت نفسها قلقة بدون سبب منطقي حول قلة عدالة هذا النظام الذي يتطلب الكثير من رجل واحد. وقد ندمت على اقتراحها بأن تساعده في إدخال برمجة أعماله إلى الكومبيوتر الذي يفكر بشرائه، فللعشرة أيام الأخيرة أمضيا ساعات المساء معاً، وبعد نوم الولدين حيث ينفذان العمل الإضافي له.

وأصبح الطقس فجأة حاراً رطباً يهدد بالعواصف شأن هذه المناطق عادة في الصيف.

لقد مر على زواجها ما يقرب الشهرين ومع ذلك فهي لا تستطيع

تصور حياة مختلفة لها. حمل روزي كان يتقدم بثبات، ولقد زارتها مرة في الأسبوع الماضي. وأحست ويلما بالسعادة للهدوء الذي باتت تنعم به.

الولدان أيضاً كانا مستفيدان من زواجها، فقد التصقا بها أكثر فأكثر. هذا الصباح ضمها جو باندفاع، فوضعت المغرفة من يدها وجلست على عقبيها... لقد كانت تحضر الغسيل وصرخت به بعد اكتشافها تمزيقاً صغيراً في بنطلونه الجديد، ولدهشتها وبدل أن ينزوي نادماً ركض إليها وضمها بقوة، وأخذ يفسر لها وهو ينسحب مبتعداً:

ـ عندما تصرخين هكذا تبدين كأم حقيقية.

أم حقيقية... أهكذا أصبحت الآن؟ بالتأكيد فقد انغمست عاطفياً معهما أكثر مما تصورت أولاً، كانت تحس بالسعادة برفقتهما حتى عندما يغضبانها. ولم يكن شعورها نحوهما فارغاً أو مجرد شفقة، بل نوع من الحب، وأذهلها هذا الاكتشاف.

إذن هذا هو الحب... هذه هي الحاجة المشتركة والمشاركة والتجربة. وعرفت بانها إضافة لتعليم الولدين كانت تتعلم. وأحست كما يشعر مارتن بالأسى لتفضيل ولديه رفقتها عن رفقته. وبعد أن عرفته الآن بشكل أفضل أدركت كم أن هذا يجعله يحس بالمرارة.

الولدان كانا حساسان جداً للأجواء المكهربة السيئة بين الكبار ولسوف يتضرران نفسياً بأن تبقى وهي مارتن في حالة تشبه الخصام الدائم.

كانت لا تزال في الحديقة عندما عاد مارتن إلى المنزل، فوقفت وقد وأحست بالحرج لارتدائها ملابس مختصرة، شورت قصير جداً وبلوزة مرفوعة إلى فوق عند الخصر، وتقدم نحوها، بدل الدخول مباشرة إلى المنزل. بدا متعباً ومتوتراً، ووجهه مشدود وصدمها انه بدا أكثر هزالاً. لقد كان مشغولاً جداً لدرجة انه لم يتناول طعامه معهم بشكل لائق، إنها لا تذكر وجبة واحدة منذ زواجهما لم يقاطعهما اتصال هاتفي أو زائر. وبادرها قائلاً:

ـ أكنت مشغولة؟

ـ أتمتع بهذا العمل. تبدو تعباً.

ولاحظت الدهشة في عينيه فاحمر وجهها دون أن تعلم لماذا. بالتأكيد التعليق على مظهره المرهق لا يخرق قوانين زواجهما؟ وقال لها باختصار:

ـ الصداع، ولهذا عدت. سأصعد إلى غرفتي وأستلقي في الفراش، وأي اتصال بي ممنوع. إذا كنت محظوظاً سأتجنب نوبة «ميغرين» وإلا...

وبدا متجهماً، صوته خشن وعلمت ويلما لماذا. فوالدتها عانت من الصداع المزمن إلى أن شلّها أخيراً. ولن تنسى عذاب ذلك اليوم عندما عادت من مدرستها لتجد أمها داخل السيارة عند باب البيت وهي غير قادرة أبداً على التحرك. وقال لها الطبيب انها محظوظة لوصولها إلى المنزل قبل بدء النوبة.

ولم تحاول تأخيره عن الصعود إلى غرفته، بعد ملاحظتها عوارض النوبة على وجهه، وانتظرت إلى أن أصبح في الداخل ثم

لحقت به. ودخلت المطبخ وترددت قليلاً قبل إعداد الشاي، فقد كانت أمها تجد فيه دائماً راحة لها ومساعداً خلال علاجها، كذلك كانت تحس بالراحة لتدليك رقبتها وكتفيها. وتذكرت ويلما كل هذا، وبدا لها على الفور أن تنفذ هذه المهمة.

لكن غريزتها حذرتها من أن مارتن قد لا يرحب بتدخلها لعدة أسباب. فهو رجل متمسك بخصوصيته، ولن يرحب بأن يراه أحد في أكثر لحظات ضعفه. وفي هذا الأمر على الأقل هما متشابهان. فهي أيضاً تكره تدخل أحد.

وقفت ويلما عند باب غرفته، وهي تأمل في أن يكون قد أخذ دواءه وبدأ يغيب تحت تأثير المخدر، ثم تقدمت ودفعت الباب ودخلت. انها تعرف تماماً ان اختلال الضغط الهوائي قد يكون أحد الأسباب الذي يؤدي إلى نوبة صداع «الميغرين»، فتوقفت للحظات لتختبر البرودة التي توفرها المروحة الكهربائية، والصوت الذي قد يصدر عنها، ثم تقدمت نحو الفراش.

عندما نظرت إلى مارتن وجسده الممدد تقلصت عضلات معدتها وتوترت أعصابها فقد كان مستلقياً على وجهه، يتنفس بصعوبة وعيناه مغمضتان. لم تكن قد راقبت رجلاً وهو نائم بهذا القرب من قبل، وكان لهذا تأثيراً غريباً عليها. ينبوع من المشاعر عميق في داخلها بدأ يتدفق، إنه يختلف عن إحساسها بالشوق الحنون تجاه روس عندما يكون في أوج عناده وكبريائه وصعوبته.

كان مارتن قد خلع قميصه وألقاه على الأرض وكشف هذا لها انه بالفعل قد خسر شيئاً من وزنه. بشرته كانت زيتونية اللون قليلاً، وكان يعرق بكثرة. ولم تدر ما إذا كانت سعيدة أم لا لأنه نام،

وبدأت تدور حوله.

ـ ما الأمر؟

صوته الأجش والمرهق من الألم، أجفلها، فنظرت إليه، عيناه لا زالتا مغمضتان وامتزج شحوب وجهه باحمرار ثقيل حول خديه.

ـ لقد أتيتك بكوب شاي. كانت أمي تعاني من «الميغرين» وكانت تجد الشاي مريحاً يساعد جهازها الهضمي على امتصاص الدواء.

الزفرة التي أطلقها كانت تعني أي شيء، ولكنها لم تبدو انها دالة على أي رغبة في الاحتفاظ برفقتها، فاستدارت متجهة إلى الباب.

ـ وماذا كانت تجده مساعداً لها كذلك؟

سؤاله أدهشها، فنظرت لتجده قد فتح عينيه، فاحست لاسوداد هما بالألم أن الشفقة عليه تعتصر قلبها.

ـ كانت تحب مني أن أدلك لها رقبتها وكتفيها.

مرة ثانية زفر أنفاسه بقوة بما اعتقدته استجابة غير ملزمة، ولكن صدمة مكهربة أصابتها عندما قال:

ـ وهل تظنين أن هذا ينجح معي؟

وأخذت تنتقي ببطء كلماتها وهي تقول له:

ـ أعتقد أن هذا يعتمد على ما إذا كان صداعك مرده التوتر أو أن يكون من طعام أو تغيير في الطقس.

ـ صحيح أن الطقس رديء ولا يساعد، ولكن أظن أن السبب هو التوتر.

وتحرك متململاً، ثم أغمض عينيه وقال بألم:

- يا إلهي... أحس بأن رأسي اللعين سينفجر.

صوته كان كالخيط الرفيع، وعلى الفور، ودون حاجتها لتعرف ماذا ستفعل، مدت ويلما يديها إلى مؤخرة عنقه.

بدأت آلياً بتدليك العضلات المتقلصة، أصابعها تتذكر بالغريزة الخبرة التي اكتسبتها مع والدتها.

بالتدريج بدأت تحس به يسترخي، وأنفاسه تبطىء وترتاح. وعندما توقفت لتنظر إليه، دون أن يفتح عينيه تمتم بكسل.

- هذا رائع... لا تتوقفي.

وتابعت ويلما، ببطء أولاً، ثم بتركيز وقد أحست بتوتره العضلي ينزلق ليختفي. انه عمل شاق، وبعد عشر دقائق، كان عليها أن تتوقف لتلتقط أنفاسها، كانت تتصبب بالعرق بشكل قاتل، وقد التصق قميصها بجسمها وأخذت جلدة رأسها توخزها من الحرارة.

وصدر عن حنجرته صوت عميق لحظة تركت يداها رقبته، وعلمت انه نوع من الاحتجاج، فانحنت فوقه مجدداً، وأخذت هذه المرة تعمل على كتفيه والعضلات السميكة تحتهما.

عملها كان شاقاً، أكثر بكثير من تدليك أمها، فعضلاتها كانت طرية، ولم يساعدها الجو الحار الشديد القيظ والتعرق الذي كان قد بدأ يوخز بشرتها، تحوّل إلى نقاط بدأت تتساقط على كتفيه وهي منحنية فوقه.

لم ترغب في توقيف حركة يديها لتمسح ما وصل من عرقها على كتفيه، وبدون تفكير، احنت رأسها إلى الأسفل ومسحت بوجهها مكان العرق. لحظة ملامسة وجهها لبشرته، علمت على

الفور أن حركتها يمكن أن تُفسر بشكل مخالف. لقد نسيت هذه اللحظة انه رجل ناضج، رجل يدعي عدم رغبته فيها، وأن ضعفه الحالي هو ما أثار فيها إحساساً تكنّه لروس وجو. أدركت هذا بقوة أكثر وجسده يتوتر تحت أصابعها، ويرفع رأسه عن الوسادة، ويلتفت إليها لينظر مباشرة في عينيها. عيناه المسودتان تبرزان... ماذا...؟ الغضب...؟ عدم التصديق... الكراهية؟

كانت على وشك الاعتذار والشرح له أن السبب هو انهمار عرقها فوقه، عندما قال بصوت فيه فضول بقدر ما تنقصه العاطفة:

- أظن من الأفضل أن تذهبي.

وأحست برعب بالمد الأحمر الساخن يغزو جسدها، هل يظن انها كانت تقصد أن تجعله يحس بها؟ أن تثيره؟ وأصابعها تترك جسده تمزقت نفسها في مزيج من الغضب والقنوط. من المؤكد أنه يعرفها جيداً الآن ليعرف انها ليست ذلك النوع من النساء؟ وأن ليس من عادتها أن تغزو خلوته لسبب لا معنى له وسخيف، وهو مريض بدون دفاع؟

ولكن ما هو تفسيره الآخر لعملها؟ ماذا فعلت؟ إن ما قامت به هو الأكثر حمقاً مما فعلته طوال عمرها. وهي تنتصب مبتعدة عنه، كانت تعلم بالرغم من إغماض عينيه أنه بعيد جداً عن النوم. وأدركت كذلك انها بغبائها قد أفسدت كل جسور الوفاق التي كانت قد تشكلت بينهما.

وخرجت من الغرفة، وأغلقت وراءها الباب. وسألت نفسها لماذا تحس بالألم لمجرد التفكير بأنها قد تخسره؟

إنه سؤال لم تحب أبداً أن تفتش عن رد له، وأمضت ما تبقى

من الأمسية تفكر بالردود التي ستجيبه بها عندما يستعيد عافيته، مع علمها أن من الأفضل نسيان الأمر برمته. ومن الأفضل والأكثر سلامة وأماناً أن تدعيّ عدم الاكتراث لرأيه وردة فعله. وأن تنتظر أن يثير المسألة بنفسه.

- ويلما؟

إنه صوت لورين عرفته فور ردها على الهاتف. وسألتها شقيقة زوجها بعد تبادلهما التحيات:

- كيف تجري الأمور؟

- أفضل مما كنت آمل. على الأقل بالنسبة للولدين.

- ولكن شقيقي يمثل مشكلة لك، أليس كذلك؟ لقد كان دائماً عنيداً ابن كذا وكذا، ولا يعترف مطلقاً بغلطه! أذكر عندما تزوج أول مرة قلت له يومها إن زواجه لن ينجح، إذ لم تكن من الفتيات اللاتي يقفن إلى جانب مهد طفل. فهي تسعى وراء مستقبل عملي، وليس إلى دور زوجة وأم. ولكنه لم يعترف مطلقاً انني محقة... على الأقل ليس قبل الطلاق ولكنني كنت أظن أنه الآن قد أدرك منافع زواجه منك.

- اوه، أعتقد انه يتقبل واقع أن هناك منافع. ولكنه يقاوم ويكره ذلك المسدس المحشو الذي كان مسلطاً على رأسه!

- اوه يا عزيزتي ألا يزال عبوساً؟ اعتقدت انه اجتاز هذه المرحلة الآن. زوجي سيعود إلى المنزل غداً. وعيد ميلاده يوم السبت، وسأقيم حفلة له. وكنت آمل أن تأتوا جميعاً، وكذلك شقيقتك وزوجها إذا أمكن وفي هذا الطقس الصيفي الجيد افكر بحفلة شواء في الحديقة.

- جيد... سأحب جداً أن أحضر وأنا متأكدة أن الولدين سيحبان المجيء أيضاً. ولكنني لست واثقة من شقيقتي وزوجها، فهو عادة يلعب الغولف في نهاية الأسبوع. وبالطبع مارتن قد يكون مشغولاً في تلك المزارع البعيدة، ولكنني سأبحث الأمر معه.

ولدهشتها، أعادت روزي الاتصال بها بعد دعوتها لها بنصف ساعة لتعلن انها وروجر سيحضران.

كذلك أكد مارتن انه سيكون حرّاً بعد ظهر السبت. والبرودة الخفيفة التي احتلت مكان القيظ السابق كانت مماثلة للبرودة التي حلت بينهما منذ نوبة «الميغرين» مما جعلها مترددة في التقرب إليه. ولم يجرب مرة الإشارة إلى ما حدث ولكن ما حدث كان موجوداً بينهما، كالسيف، حاد وخطير.

كانت كلما فكرت بالتفسير الذي قد يكون وضعه لتصرفها تحس بالمرارة والذنب وتضاعف حذرها من الاقتراب منه. هذا الصباح لمست اصابعها اصابعه وهي تناوله القهوة، فانسحبت بقوة وكأنها احترقت.

التقدم الرائع الذي أحرزته مع روس وجو جعلهما يصرخان جذلاً بموافقتهما على حضور حفلة الشواء، ولو أن تجاوب روس كان أخف من تجاوب جو. إلا أن ما سرها هو أنهما حقاً قد نمت الثقة بالنفس فيهما والإحساس بالأمن، وخاصة روس الذي كان الأكثر عدوانية وانقباضاً. وكان قد سألها ذلك الصباح بالذات:

- هل ستبقين دائماً معنا؟

أجابته بصدق:

ـ أتمنى هذا يا روس. وأريد أن أبقى.

كيف يمكنها أن تشرح له انها تشك في أن يكون والده راغباً في مستقبل دائم معها؟ وما كدرها أكثر هو أن ترى الظلال الصغيرة من الألم والقلق تلوح للحظات في عينيه.

● ● ●

٦ ـ نار تحت الرماد

عادت الحرارة إلى الجو الصيفي، لتحدث جواً خانقاً صباح يوم السبت. وأحست ويلما بالحرارة أكثر في المطبخ، وتمنت لو أنها لم تعد بتقديم قالب حلوى لحفلة الشواء بعد ظهر اليوم.

كان أمام مارتن اجراء بعض المكالمات، فاختفى بعد الافطار مباشرة. وكالعادة أحست بالراحة من توترها الداخلي لحظة تركها، فيما تركها الولدان وخرجا إلى الحديقة، بدأت تحضر عجينة قالب الحلوى، وكانت على وشك صبها في القالب لوضعها في الفرن عندما دخل روس، وقال متذمراً:

ـ الطقس حار للعب. هل نحن حقاً مضطران للذهاب عند عمتي لورين؟ أفضل البقاء هنا.

وضعت ويلما الوعاء من يدها، وأخذت تدرس رأسه المحني، كانت تعرف بالمشاكل التي حدثت بينه وبين ابن عمته. ويمكنها أن تفهم جيداً سبب كرهه للعودة إلى مسرح «جريمته» حتى انها تتعاطف مع أسبابه إلى حد ما، ولكن هذه إحدى المناسبات التي يجب أن تكون فيها صارمة، ولصالحه:

ـ إذا بقيت في البيت ستكون هذه فظاظة منك، وخاصة أن زوج

عمتك سيكون هناك، وهو لم يشاهدك منذ زمن طويل، أليس كذلك؟ أعلم أن الطقس حار، ما رأيك في أن نذهب في سيارتي؟ سنكشف الغطاء ونستمتع بالهواء البارد.

ولاحظت ان الاغراء جذبه، وسرّها انها لم تقع في فخ الإصرار على ذهابه معهم. وسألها مغيراً الموضوع:

ـ ماذا تفعلين؟

ـ قالب حلوى بالفريز، هل تريد تذوقه؟

أخذت ملعقة نظيفة ملأتها بالمزيج وأعطته إياها، وظهرت على وجهه السعادة العظيمة وهو يلحس الملعقة حتى نظفها، مما جعلها تضحك، وكانت لا تزال تضحك عندما دخل مارتن المطبخ:

ـ يا إلهي كم الجو حار هنا. لا بد أن هناك عاصفة قادمة. كم بقي من الوقت للذهاب إلى منزل لورين؟

ـ سنذهب في الثانية عشرة.

ـ أبي... تذوق هذه إنها رائعة.

ونظر مارتن إليها متسائلاً فأجابت:

ـ إنها عجينة قالب حلوى بالفريز، طلبت مني لورين صنعه.

ـ أعطي والدي قليلاً ليتذوقه.

وتقدم مارتن ليقف قربها وهي تمسح أطراف الوعاء بملعقة، وكالعادة أحست بالتوتر، وبدأت ترتجف قليلاً، وكادت تناوله الملعقة ولكن بطريقة ما تعلقت اصابعه باصابعها وأقفلت عليها، مما جعلها ترتجف حتى أن أكثر من نصف محتويات الملعقة أصبحت على اصابعها. ولم تستطع سحب يدها، ولكنها أشاحت

بوجهها عن منظر لسانه وهو يلعق الملعقة ببطء. وأحست كأنه سيغمى عليها عندما أزاح الملعقة وبدأ يلعق ما علق بأصابعها من عجينة الحلوى.

وأخذ شعور لم تكن أبداً قد أحست به من قبل طوال حياتها يزحف إليها، جسدها أصابه الشلل وهي تقف هكذا مصدومة مذهولة، غير قادرة على الابتعاد. أحست كأن جسدها كله تحول إلى سائل، وكأنها ستذوب تماماً.

بدا لها أمراً لا يصدق أن مثل هذا العمل البسيط الآلي منه له مثل هذا التأثير المدمر عليها. فقد أحست أن معدتها سقطت، بينما تسارعت نبضاتها بجنون.

وترك يدها. ولكنها وجدت من المستحيل أن تشيح بنظرها عنه. وكان من الأفضل لو أن روس لم يكن يراقبهما عندما ابتسم مارتن وقال لها بهدوء:

ـ الآن تساوينا.

تساوينا؟! ماذا يقصد؟ وأحست بدماغها متبلد كسول وثقيل وكأنه مخدّر. وكان على روس أن يكلمها مرتين لتدرك انه يقول شيئاً. وقال لها روس وهو ينطلق إلى الحديقة:

ـ لا تنسي انك وعدت بالذهاب في سيارتك.

كان مارتن يراقبها. استطاعت أن تعرف هذا بالرغم من انه يقف خلفها.

ـ ليس من اللطف أن تثاري في وقت لا تستطيعين فيه عمل شيء حول الأمر، أليس كذلك يا ويلما؟

استدارت بوجهها إليه، والصدمة تسري في عروقها. فتابع

بخشونة:

ـ الآن تعرفين كيف أحسست في ذلك اليوم. فماذا اعتقدت نفسك فاعلة بحق الشيطان؟ بالتأكيد لم تنسي القوانين؟

صوته كان ساخراً بحرارة حتى انها تأخرت بعض الوقت لفهم ما يقصده. وعندما فهمت احمرّ وجهها كثيراً... انه فعلاً يظن انها تعمدت... وأكثر من هذا انه كان غاضباً حتى انه تعمد اليوم معاقبتها.

وامتد الصمت ثقيلاً وهي تفتش عن رد مناسب. رد يوضح جيداً له، انها لم تكن تقصد، ولم يكن لديها اية رغبة في اثارته، ولكنها لم تجد الكلمات المناسبة. وكان عليها أن ترضى بدفاع ضعيف:

ـ انت مخطىء تماماً، ولا أعتقد أن الأمر مهم مهما قلت. فلن تصدقني وقد قلت لي قبل زواجنا انك غير قادر على... الإثارة.

ـ كانت غلطة سيئة. فقد نسيت قدرة بنات جنسك على الانجذاب لأي شيء يشكل لهن تحدياً. أنت إما أن تكوني راغبة في تعقيد الأمور عليك أو انك واثقة من براعتك حتى انك أحسست برغبة في التسبب بحاجز آخر عن طريق إثارتك لي وأنا في تلك الحالة المرضية.

تلميحه الموضوعي خطف أنفاسها، أو أن كتلة الغضب التي كانت في صدرها كانت أكبر من أن تسمح لنفسها بالخروج أو الدخول. وأصبح كلامها مستحيلاً. ولأول مرة في حياتها علمت لماذا تلجأ النساء إلى العنف الطفولي عندما يواجهن جدلاً قاسياً مع رجل. في هذه اللحظات لا شيء يطفىء غليلها أو يمتعها أكثر من

كسر الوعاء الذي في يدها على رأسه المتعجرف. ولكن لحسن الحظ تمكنت من استعادة ما يكفي من التعقل والسيطرة كي لا يحصل هذا.

وأدارت ظهرها له، ثم خلعت مريلتها، وقالت بخشونة:

ـ سأغسل يداي وأصعد إلى غرفتي لأستعد للخروج. وإذا فضلت أن تذهب بالسيارة لوحدك فسأفهم السبب.

بعد ساعتين كانوا جميعاً جاهزين. الولدان ارتديا القمصان «تي شيرت» و«الجينز» النظيفة فوق ملابس السباحة، فلورين لديها بركة صغيرة للسباحة. وكانت ويلما الأخيرة في الظهور فحياها جو «مرحى!» وتقبلتها بابتسامة فيما قال روس لأخيه:

ـ أمر صبياني أن تقول للفتيات انهن رائعات.

واستدارت إلى مارتن، وتلاشت ابتسامتها لرؤيته مقطباً، للحظة نسيت تبادلهما للسلاح في المطبخ، كانت عبثاً تتوقع منه مشاركتهم سعادتهم هي والولدين.

فتحت سيارتها وانتظرت حتى وضع الولدان لعبهما في الصندوق، وكانت على وشك الصعود عندما وصل مارتن، فترددت، هل تعطيه مقعد القيادة؟ ولماذا تفعل، أمن أجل ارضاء غروره أن تفعل ما يتوقعه كرجل؟ وأنزلت مقعدها لتترك الولدين يصعدان إلى الخلف، ثم صعدت وأدارت المحرك. وأقبل مارتن بعد أن أقفل الصندوق ليجلس بقربها دون أي تعليق.

وكما توقعت، فإن كشف الغطاء قد سمح لهم بهواء منعش بارد، ولكنه لم يزعجها فقد استعدت له بإحكام ربط شعرها، وعندما سنحت لها الفرصة للنظر إلى مارتن أحست بالكدر

لاكتشافها انه نائم، ورأسه بعيد عنها، وجسده يتحرك ببطء مع تحركات السيارة، وقال لها جو معلقاً:

ـ لقد نام والدي.

نام... ومع كل اصرارها أن لا تدعه يقود... لقد عرف كيف يستفيد منها.

استفاق مارتن فيما كانوا على وشك الوصول إلى منزل لورين. وتمطى ببطء ثم استوى. هل كان حقاً نائماً، أم انه خمّن سبب اصرارها على القيادة وتظاهر بانه نائم؟

كانت ويلما تساعد الولدين على النزول عندما ظهرت لورين، ورجل أشقر الشعر محمّر البشرة إلى جانبها. وراقبتهما ويلما وستيفن يتقدم لتحية مارتن، ثم يعانق الولدين، وتأثرت للمودة الظاهرة بينهم، أمر لم تكن ويلما تتوقعه من زوج لورين الذي طالما ذكرته وكأن لا حول له ولا قوة.

ـ هذه ويلما.

ـ آه... ها... الأفضل دائماً للأخير؟ هل سأكون سالماً إذا قبلتها؟

وابتسم ستيفن وهو ينظر إلى مارتن. فقال مارتن:

ـ مني أنا... أجل... ستكون سالماً. أما من لورين، فلست واثقاً.

ابتسمت لورين لها وقالت:

ـ هيا بنا إلى الحديقة، اهذا قالب الحلوى؟ ساخذه منك إلى الداخل، أتسمحين؟

بينما قاد ستيفن مارتن والولدين حول المنزل إلى الحديقة

الخلفية، تبعت ويلما لورين إلى الداخل. مطبخ لورين كان يطل على الباحة المرصوفة حيث سيقيمون حفلة الشواء. وراقبت لورين ولدها وهو يقفز إلى البركة ليرسل رذاذ الماء عالياً نحو الشرفة.

ـ انه وحش صغير! كم يسرني ان ستيفن الآن في المنزل. لقد بدأ يخرج عن سيطرتي. ويقول ستيفن ان السبب هو حكم المرأة... يا له من متعصب.

وضحكت... لم يكن هناك ذرة امتعاض في صوتها، وأحست ويلما بالحيرة فالمرة الأولى التي قابلت فيها لورين صدمتها تصرفاتها القوية الصريحة المباشرة. وها هي هنا قانعة تماماً لا ليس قانعة فقط بل وسعيدة بهذه القناعة، لأن تسلم عنان الأمور لزوجها، ومن القليل الذي شاهدته من ستيفن بدا لها من النوع الذي لا يقبل أن تسيطر عليه زوجته. وقالت لورين:

ـ اوه... وكأنني اسمع صوت سيارة. ربما تكون شقيقتك.

كانت روزي، تبدو بأكمل تألق حملها، فيما تبعها روجر ومعه جوزف إلى المطبخ. وقالت لورين:

ـ اظن انني أنهيت عملي هنا. دعونا نخرج إلى الحديقة، ونشرب المرطبات.

أعلنت لورين للجميع في الخارج:

ـ لقد حضر الجميع، وأظن أنه من الأفضل بدء الشواء يا ستيفن، قبل أن يتعب الأولاد ويجوعوا.

وابتسمت لجوزف، وأمسكت بيده متجهة به لتعرفه إلى الأولاد.

كان الغداء ناجحاً. حتى روزي بدت مرتاحة وسعيدة. ولكنها

بدت غير قادرة على الاستقرار، تراقب الأولاد وقد خلعوا ملابسهم واتجهوا نحو البركة. فقال ستيفن معلقاً:

ـ يا إلهي... من أين لهم كل هذه الطاقة؟

فأجابته لورين:

ـ أتريد أن تعرف، تيد مثلاً تناول على الأقل أربع سندويشات لحم، وآيس كريم، وقطعة حلوى الفريز.

فصاح ستيفن، وهو ينظر إلى جسد ولده النحيل:

ـ لا تكملي أرجوك... إذا كان يأكل بشراهة فلماذا هو نحيل؟

ـ إنه نحيل لأنه يحرق ما يأكل، أنسيت تمارينه الرياضية؟

كانت ويلما تراقب الأولاد ومارتن معهم، انهم بأمان معه. ولكنها على أي حال لم تكن تنظر إلى الأولاد بقدر نظرها إلى مارتن. وبدت أنفاسها عالقة في حلقها، جسدها ينتفض بنوع من الألم طالما كانت تخفيه في أعماقها. وسمعت شقيقتها تحدثها وكأنها تقف على مسافة بعيدة منها فالتفتت متسائلة:

ـ كنت اعتذر منك على شدة حماقتي حول روجر وحتى لو لم اكتشف كم كنت سخيفة فبمجرد رؤيتك تنظرين إلى مارتن بهذه الطريقة لكنت عرفت على الفور أنك واقعة في حب عميق، حتى أنك لا تستطيعين نزع عينيك بعيداً عن الرجل يا ويلي.

في مكان ما... في داخلها... أحست بالألم يكبر وينتشر، يصرخ بصمت، وأخذ جسدها يرتجف من الصدمة.

ـ ويلي...؟ هل أنت بخير؟

صوت روزي كان يملؤه القلق ومدت يدها لتمس شقيقتها فقالت ويلما:

ـ لا... انه الحرّ انه يجعلني أشعر بالدوار، هذا كل شيء.

نظرت إليها روزي نظرة شك متفحصة:

ـ أولست...؟

فهزت ويلما رأسها بسرعة وقد فهمت قصدها. يا إلهي لقد ظنت إنني حامل! لو أنها فقط تعرف مدى سخرية ما تشير إليه، ووقفت وقد ملأتها حاجة ملحة للهرب من الآخرين وأن تكون لوحدها في مكان ما هادىء حيث تستطيع ترتيب أفكارها المتشوشة.

اتجهت نحو مكان بعيد في الحديقة، ثم وقفت مذهولة، أحست بأنها متوترة حتى من ملامسة نفسها، وجسدها من الداخل بارد كالثلج بالرغم من الحرارة الخانقة.

لم تعد فجأة تحس بأنها «جزيرة» مكتملة معزولة. قادرة على الوجود والعمل دون حاجة إلى وجود الآخرين ليشاركوها حياتها. لقد استطاع مارتن تدمير كل دفاعاتها الداخلية، والتي ظنت نفسها بأمان وهي تختبىء خلفها.

إنها لم تتزوجه فقط بسبب روزي. انها مضطرة الآن لأن تعترف، أن قرارها بالزواج منه قد اتخذه عقلها الباطني. وأحست بالتصلب لسماعها وقع أقدام وراءها، فهل لاحظ مارتن غيابها وجاء وراءها؟ وازدادت حدة توترها عندما شاهدت أن القادم هو روجر. وكانت أفكارها، أكثر من وجود روجر، هي التي دفعتها لتستند إلى جذع شجرة. لطالما كانت فخورة بنفسها وبإيمانها بما تكتب، وها هي الآن مجبرة على مواجهة واقع انها هي بنفسها وبكل عجز قد وقعت في الفخ حتى انها لا تملك القول بأنها دُفعت إلى حب مارتن

دفعاً. فهو لم يظهر أي مشاعر نحوها... أو حتى «اللامشاعر». وفاجأها روجر:

ـ حسناً، حسناً... لوحدك دون زوجك الجديد... ما هو التفسير الذي ستضعينه لهذا الأمر؟

كالعادة، تصرفات روجر المتعجرفة اثارتها. واليوم من بين كل الأيام تحس بعدم قابليتها لتقبل المزاح:

ـ لا... أبداً يا روجر. بكل بساطة رغبت ببعض الهدوء والسكينة.

فضحك أو بالأحرى «شخر» وعلى الفور قارنت وقع هذا الصوت الكريه على مسمعها بوقع ضحكة مارتن الدافئة. مع انها لا تسمعها دائماً، وعندما تسمعها يكون سببها أحد ولديه. ولم تكن ترغب في أن تبقى مع روجر من بين كل الناس فتحركت مبتعدة.

ـ ليس بهذه السرعة.

مد يده ليقفل الطريق أمامها عبر الشجر، وقبل أن تتشكل الكلمة اللائقة في ذهنها تابع:

ـ ستظن روزي انك قد وقعت في حب بائس مع زوجك. ولكنني أعرف وأنت تعرفين جيداً أنك غير قادرة على الحب! أنه ضد مبادئك الرقيقة المقام. لقد تزوجته لمنع روزي من أن تكتشف أمر ما.

كان قريباً جداً من الحقيقة، ومع ذلك فبعيد أكثر بكثير، حتى أنها كادت تضحك. فهي تعرف الآن انه مخطىء، وللسخرية، كم تتمنى لو أنه على حق.

ـ ولكنك مخطىء يا روجر... فأنا أحبه فعلاً.

وفجأة أحست كم هما معزولان، وكأنها بحبها لمارتن أصبحت بالفعل معرضة للمخاطر بطريقة لم تعرفها من قبل، وأدركت أن من الحكمة عدم اثارة روجر كثيراً. ولكنه كان فعلاً قد غضب فصاح بها:

ـ أيتها العاهرة! أنت تتمتعين بهذا القول لي... أليس كذلك؟

وأمسكها بقوة آلمتها، وغرز اصابعه في لحمها، ورفض أن يتركها بالرغم من مجاهدتها للتخلص منه. وضغط جسده عليها محاولاً ضمها، فرفسته على عظم ساقه بقوة، ولكن لم تكن محاولاتها المتوحشة هي التي حررتها، ولكن وجود مارتن المفاجىء، وجهه متجهم أسود وهو يقول بخشونة لروجر:

ـ أظن من الأفضل لك أن تعود إلى زوجتك.

ولم يحاول روجر الجدال، وتركها بكل بساطة عائداً من حيث أتى. وكانت على وشك شكر مارتن لتخليصها عندما قال لها بصوت أجش:

ـ ألم تستطيعي الانتظار بكرامة للحظة مناسبة أكثر؟ لست غبياً يا ويلما... هل ظننت حقاً انني صدقت للحظة واحدة القصة التي قلتها لي عنه؟ قد لا تكونان الآن على علاقة، ولكن من الواضح لي انكما كنتما. ولكن اذا اعتقدت أن بإمكانك العودة إليه، فسأقول لك هنا والآن ان هذا لن يحدث وأنت متزوجة مني... بحق الله... بماذا ظننت أنك تتلاعبين؟ أي إنسان كان بإمكانه رؤيتكما هنا، شقيقتك، أو الأولاد. هل توقفت لحظة للتفكير بما ستقولينه لهم؟ لا... أنت لم تفكري بشيء سوى إشباع رغباتك... أليس كذلك؟ ولا تقولي لي ان الأمر أكثر من هذا يا

ويلما. فقد قلت لي من قبل انك لا تؤمنين بالحب فماذا غير الرغبة سيكون السبب؟

كانت ترتجف، ولكن ليس من الصدمة الآن، بل من الغضب. والتوى فمه وهو ينظر إليها، وعيناه تدينانها:

ـ أليس لديك ما تقولينه؟

ـ بل لدي الكثير... ولكن بما أنك قد أدنتني دون انتظار لسماع ما لدي، فلا لزوم لقول شيء.

وبدون روية دفعته جانباً، وعادت إلى الآخرين. وكانوا جميعاً يجلسون حول البركة، وروجر يقف قرب مقعد روزي وابتسمت لها شقيقتها:

ـ آه... هذه أنت... لقد قلق مارتن عليك.

والتفتت إلى روجر تبتسم وتقول له:

ـ لقد أعادني هذا إلى الوراء يا حبيبي. أتذكر عندما كنا متزوجين حديثاً؟

وسمعت ويلما زوجها يقول لشقيقته:

ـ الأفضل أن نبدأ بالرحيل يا روزي، فالطقس لا يبدو جيداً، ولا أريد أن تفاجأني العاصفة في الطريق.

هذه المرة، قاد السيارة بنفسه، ودخل مقعد القيادة قبل أن تستطيع تحديه. كان سائقاً ماهراً، يركز كل اهتمامه بالقيادة، ولكن قبل أن يصلوا إلى البيت استطاعوا سماع صوت الرعد بعيداً.

استمر الرعد طوال المساء، متقطعاً خفيضاً. وكان النور الغريب للبرق يضيء السماء التي أصبحت مكفهرة بشكل واضح.

كان الولدان تعبين من كثرة اللعب، فاستقرا بسعادة بعد العشاء

للعب الشطرنج، وتوقعت ويلما أن ينسحب مارتن كعادته للعمل، ولكنه بقي في غرفة الجلوس معهم، وما إن بلغت الساعة العاشرة حتى أصعدت الولدين إلى النوم، ثم عادت إلى غرفة الجلوس وهي تتمنى أن تكون لوحدها.

وهذا ما حدث. ولا بد أن مارتن قد دخل مكتبه لبعض الأعمال. وبذهابه استطاعت التنفس بحرية لأول مرة ذلك المساء. وجلست تسمع العاصفة، وتفكر بأحداث بعد الظهر. انتابها التوتر كحيوان يحس باقتراب الخطر. واعترفت لنفسها بقلق أن أفضل حل أمامها هو تجنب اللقاء بمارتن، بالذهاب إلى الفراش.

أطفأت الأضواء، وذهبت إلى غرفة نومها ثم توقفت فجأة. كان مارتن واقفاً عند النافذة، يراقب العاصفة كما كانت تفعل قبل قليل. وأحست بحنجرتها تضيق، حتى انها بالكاد لفظت مع أنفاسها:

ـ ماذا تفعل هنا؟

وخرجت الكلمات وكأنها حشرجة الألم.

ـ أنتظرك.

استدار وهي تدخل، ولكن بوجود وجهه في الظل، وصوته خال من أي عاطفة أو تعبير... كان من المستحيل عليها أن تعرف ما هو مزاجه.

● ● ●

٧ ـ لحظات خارج السيطرة

وعلى عكسه تماماً، كان صوتها مليئاً بالمشاعر:

ـ تنتظرني؟ ولماذا؟ كي تعتذر عن اتهاماتك التي لا أساس لها؟

وتملكتها مشاعر الهستيريا وتقلصت معدتها عندما استدار، وشاهدت وجهه. صوته الهادىء خدعها... بالكامل... فقد استطاعت الآن أن ترى انه مشتعل بغضب عنيف.

ـ أعتذر؟ عن ماذا؟ ألمنعي إياك من اخماد شهوتك؟ وإرضاء ذاتك؟

صوته البشع الساخر هو الذي أثارها، ونظرة الازدراء التي كانت تطل من عينيه، فطارت نحوه بوحشية رافعة يدها لتضرب وجهه، وعندما أمسكت اصابعه القاسية المؤذية لمعصمها لمنعها، استخدمت أظافرها.

وسمعت فحيح أنفاسه المسحوبة إلى الوراء وأحست به يتراجع وهي تشعر بالسرور. الرعد في الخارج بدا لها مجرد صدى لضربات الدم الذي يجري في كل جسدها. وكانت على شفير أن تصبح بدائية مثل العاصفة نفسها. واستمرت في السعي وراء الدم أكثر فأكثر دون وعي ودون التفكير بالعواقب إلى أن وجدت نفسها مرمية فوق سريرها، ومارتن فوقها وقد اختفى وجهه وراء قناع من

الغضب.

انها رغبته في معاقبتها المسؤولة تماماً عن حالتها الحاضرة، ممددة على فراشها، وثقل جسده فوقها ليبقيها حيث هي، وأنفاسه خشنة غير منتظمة، أكان هذا من الغضب أم من التعب. وتلوت تحته غضباً، وللحظات حدقا إلى بعضهما، هناك شيء لا يعجبها يحدث أو سيحدث وأحست انه هو أيضاً مصدوم بهذا الإحساس، ولكنه تغلب على صدمته وأمسكها بكتفيها.

وأحست بيديه تنزلقان وتتلمسانها، وأخذ جزء من عقلها يحارب بعيداً عن أي رغبة.

كان الظلام قد حل في الخارج، والبرق الذي كان يلمع فجأة فوق الرؤوس كان يضيء الغرفة، يحوّل لون بشرتها إلى اللون الذهبي. وسمعت صوت تنفسه المليء بالإثارة، وأخذت ترتجف، وهو يتلمسها وكأنما يتلمس مادة ثمينة.

وللغرابة لم تشعر بأي إحراج أو تراجع، بل إحساس متوتر بالقبول، وأحست انها قادرة على هجران نفسها بالكامل للرغبة الجاذبة لها بقوة والتي تجعل شرايينها تشتعل، دونما إحساس بذنب أو ندم.

ـ جميلة... كم أنت جميلة!

صوته بطيء ومفكك. والإحساس الذي أثاره فيها جديد عليها، ومع انها قرأت وسمعت حول كل هذا، فلا شيء جعلها محضرة لمثل هذه المشاعر. وبدت خائفة أن يزول عنها مثل هذه الرقية السحرية، ويدرك مارتن فجأة ما هو فاعل ومع من، فهي مقتنعة تماماً أن زمام سيطرته أفلت من يده على حين غرّة منه حتى

انه لم يلحظ من هي. ولكنها أدركت كذلك انه لن يتركها، فأخذت تسترخي أكثر فأكثر في قبضته. وأصابتها الصدمة فجأة عندما دفع يديه عنها وجلس في السرير وظهره إليها.

أمر لا يصدق... العاصفة الرعدية توقفت، ولكنها كانت غير واعية لتعرف هذا. ولكنها الآن انتهت. وبدا أن مارتن قد أدرك ماذا يفعل. وبدأت بدورها تجلس، انها لحظة ثورية في حياتها، أنارت لها واجهة كانت تجهلها من وجوه الطبيعة. أن تطلب منه أن يعود، قد يكون إذلالاً لها واعتراف بسلطته وتفوقه، ولكنها كانت تعرف أن الأمر ليس هكذا.

ـ لا...

الصوت خرج مخنوقاً تقريباً من حنجرته وعضلاته تتقبض وتنفرج.

ـ ليس هكذا... ليس بعد... أريدك... أريدك ويلما...

لقد لفظ اسمها... انه يعرف من هي... اعترافه بها، هزها لأن تتحرك، ليعود وعيها إليها. وللحظات أحست أن الصمت يضغط عليها، ثم سمعته يتنهد:

ـ أنت جميلة جداً.

ومرر يده على بشرتها، ناعمة لطيفة في حين كانت تحس بالألم والعذاب. هي أيضاً تريده، وبأكثر طريقة بدائية متوترة يمكن لامرأة أن تريد بها رجلها.

ـ ويلما... لا استطيع الانتظار كما كنت مخططاً... أريدك الآن.

ولم تكن ويلما متأكدة من منهما قال هذا. كل ما تعرفه انها ارتمت

بين ذراعيه ولم يكن لديها رغبة في أكثر من أن تحس به إلى جانبها.

ومع ذلك، هناك احساس بعدم الراحة، التوتر، سيطر عليها بسرعة وهي تضمه إليها. ولكنها كانت تعود على مضض إلى الأرض. الحذر الذي أنكرته منذ قليل عاد يقتحم طريقه عليها، وتحرك مارتن مبتعداً، وصوت تنفسه الحاد بدأ بالارتياح وأخذت تتساءل ما هو نوع التفسير الذي سيضعه لتصرفاتها معه، في مطلق الأحوال ومهما كان الثمن، يجب أن لا يخمّن أبداً انها تحبه! فإذا فعل فمن المحتمل أن يبعدها عنه. وهذا أمر لن تتحمله أبداً. لقد خرقت أهم قوانين اتفاق زواجها منه، وعليها ان تحاول إصلاح الضرر قبل أن يبدأ مارتن بالحساب وجمع الوقائع ليصل إلى الحقيقة.

ولزمها كل ما عندها من قوة وسيطرة لتبدو هادئة، وتقول:

ـ ظننتك غير قادر على مثل هذا العمل.

وأحست بتوتره دون أن تنظر إليه، وتحرك الفراش قليلاً وهو ينهض على كوع واحد، ولعلمها انه أخذ ينظر إليها، أدارت رأسها. في الظلام كان صعباً عليها قراءة تعبيرات وجهه، ولكن صوته كان أهدأ من صوتها:

ـ يبدو أن الغضب أفضل علاج.

ها هي قد عرفت... لم يفعل ما فعل بدافع الرغبة أو العاطفة، بل بكل بساطة بدافع الغضب... ولكن ألم تكن تعرف كل هذا؟ وتابع كلامه:

ـ هل تتوقعين مني الاعتذار؟

وعلمت انه يتحداها لأن تنكر سعادتها بما حصل. فجمعت

قواها وقالت:

ـ لأجل اتهامك الخاطىء بخصوص صهري... أجل! أما لهذا... فلا.

وداخلها إحساس انها أغضبته دون أن تعرف السبب.

ـ قد لا تكون هناك علاقة فعلية بينكما... ولكن هذا لا يغير واقع أن هناك شيئاً بينكما.

وكانت على وشك أن تقول بأنها لا تشعر سوى بالاشمئزاز منه عندما سألها:

ـ منذ متى لم يغازلك رجل؟

كل عضلة من جسدها صرخت بالتحذير بالخطر، ولاحظت انه مقطب، وعلمت أن من غير المجدي الكذب عليه:

ـ لزمن طويل.

ولم تحدد أي شيء في تصريحها.

ـ إذن تجاوبك كان أساسه الإحباط الجسدي. أليس كذلك؟

أرادت أن تصرخ به انه مخطىء، وانها تحبه، ولم يكن تجاوبها دافعه الإحباط، ولكن الكبرياء والحذر أوقفاها. فمن الأفضل جداً أن يظن انه محق. ولو تركته يعرف الحقيقة فقد تخسره وتخسر الولدين والحياة التي بدأت تحبها هنا، منطقياً تعرف انه لن يشعر نحوها بما تشعر نحوه بالطريقة ذاتها، ولكن على الأقل ستحصل... على ماذا؟

ـ حسناً ما ردّك؟

سؤاله قطع أفكارها.

ـ أعتقد أن الحق معك.

كم بدا صوتها جافاً خالياً من أي مشاعر. صوت شخص يتألم وأضافت:

ـ اذن نحن نعلم الآن أن الغضب والإحباط يؤلفان تركيبة مهلكة جميلة.

ونهض بدون أن ينظر إليها واتجه نحو الباب، والتفت ليقول لها:

ـ لحسن الحظ انها تركيبة لن تتكرر معنا.

ثم خرج... وتركها لوحدها تحلم... كيف كانت ستبدو الأمور لو انه يحبها بدل كرهه لها. لما كانت وحيدة الآن. بل ستكون بين ذراعيه. فتستمع إلى كلماته الرقيقة الحنونة عن الحب. وغطت الدموع عينيها، ودفنت رأسها في الوسادة، وتركتها تسيل.

الأيام القليلة التي تلت، عاشتها في عذاب، كانت خائفة أن يقول لها انه يريد انهاء زواجهما، ومما زاد خوفها انه كان يتجنبها متعمداً. حتى روس لاحظ هذا، وعلق عليه بأن والده لا يقضي أي وقت معهم في الأمسيات.

على الأقل حققت النجاح مع الولدين وأصبحا الآن أكثر انفتاحاً لتقبل مارتن كوالد لهما، واكتشفت من المعلومات الصغيرة التي كانا يبوحان بها أن ابتعادهما عنه ليس سببه تعلقهما بأمهما ولكن لمعرفتهما انها لم تكن تحبهما ولا تريدهما وهذا ما ولّد لديهما الخوف من أن يكون مارتن مثلها.

وهذا شيء رغبت في بحثه معه، ولكنها كانت خائفة من التقدم منه. كانت تخشى نظرته الكارهة المشمئزة، أو أن يظنها تستخدم الولدين كعذر ليكون حميماً معها.

إضافة إلى كل هذا، كان هناك شيء «ينق» في داخل ضميرها، وإحساسها بعقدة الذنب هو خوفها الحقيقي من أن تكون وبكل سهولة قد حملت منه بعد ما حدث بينهما. وسيمر اسبوع أو أكثر قبل أن تتأكد. ولكنها بدأت تفكر بغضبه إذا اكتشف انها حامل. ليس هناك من مجال اطلاقاً لأن يقبل بأن تحمل منه، كذلك هي تعلم انه لن يقبل مطلقاً بالاجهاض، وما من طريقة لأن تقبل به هي أيضاً. وبهذا سيضطر إلى الابقاء على الزواج بسبب الطفل فقط ومن الممكن جداً أن يصل إلى استنتاج بانها قد حضّرت لكل ما حصل متعمدة أن تصبح حاملاً لتتأكد من انه سيضطر للمحافظة على زواجهما. حتى انه قد يعرف حقيقة شعورها نحوه، ويشك في أن تستغل الطفل كنوع من الابتزاز له.

كل هذا أصابها بالارهاق، حتى الحديقة فقدت تأثيرها المريح على اعصابها. الولدان كانا يلعبان فوق المرجة، وأجفلت ويلما عندما أحست بصمت مفاجيء. ماذا يفعلان بحق الله؟

اتجهت نحو المكان الذي كانا يلعبان فيه، لتتوقف فجأة وهي ترتعد لرؤيتها جو يقف تحت شجرة خوخ يحدق بين غصونها. بينما كل ما هو بادٍ من روس قدماه فقط وقد اختفى بين أغصان الشجرة. ما أقلق ويلما هو خطورة تسلق الشجرة التي أصبحت قديمة وقد حذّر مارتن ولديه من تسلقها حفاظاً على سلامتهما.

فيما كانت تنظر إليه، سمعت صوت طقطقة الغصن الذي يجلس روس عليه، ثم وبصوت راعد، تحرر الغصن من الجذع وسقط روس فوقه إلى الأرض.

ولم تذكر ويلما انها ركضت، ولكنها وصلت إلى هناك في اللحظة التي لامس الغصن فيها الأرض، تصرخ بذعر لروس. وكان مستلقياً بين الأوراق وعيناه مغمضتان، ووجهه أبيض. وإلى جانبها أحست بجسد جو النحيل يبكي ويصرخ بهستيريا:

ـ لقد مات... ! روس مات!

أخذت معدتها تتلوى من الألم، مدّت يديها بين الأغصان الصغيرة للوصول إلى الجسد الهامد، ولم تجرؤ على تحريكه وهي منحنية فوقه، تبحث عن نبضاته بكل حذر، وتتحسس تنفسه.

فقط عندما شاهدت ارتفاع صدره وهبوطه، أدركت مدى ذعرها من أن يكون روس قد قتل بالفعل وبدا لها انه قد يكون حياً، ولكنه فاقد الوعي، وأخذت تتذكر ما سمعته عن أطفال وكبار تلقوا ضربات على رؤوسهم وأصيبوا بإعاقات دائمة.

وشاهدت جو يتعثر في خطاه متجهاً نحوها، ويمد يده ليمسك ذراع شقيقه.

ـ لا... لا تلمسه.

ولاحظت شفة الولد الصغير السفلى ترتجف، وتمنت لو انها لم تأمره بهذه الحدة، ومدت يديها لتحتضنه مفسرة:

ـ لا نعرف كم هو مصاب يا جو، لذلك يجب أن لا نحركه، انه ليس ميتاً.

ـ أتمنى لو أن أبي هنا.

ـ ابق انت معه وسأذهب لأطلب سيارة إسعاف.

وعلى الهاتف شرحت ما حدث للوحدة الصحية الريفية، وقيل لها أن لا تلمسه ولا تحركه:

ـ سنكون معكم في أسرع وقت، ما هو عنوانكم ثانية؟

وببطء اعطت ويلما العنوان وسمعت صوت الممرضة يشهق ليقول:

ـ أتعنين منزل المهندس مارتن كيمبل؟

ـ أجل، ولسوء الحظ انه ليس هنا، انه في مكان بعيد ولن يصل قبل نصف ساعة.

ـ لقد فعلت ما هو صحيح. لا يمكن الاهمال في حالات إصابة الرأس.

النبرة القاتمة في صوتها زادت من خوف ويلما، ولكن بعد خمس عشر دقيقة، فتح روس عينيه فيما كانت سيارة الاسعاف توشك على الانطلاق به إلى المستشفى، فتح عينيه تماماً، وقال بصوت رقيق ومهتز:

ـ ماذا حدث؟ رأسي يؤلمني!

ـ لقد وقعت عن شجرة الخوخ يا روس. هذا ما حدث. بعدما شرح لكما والدكما خطرها وحرّم عليكما تسلقها.

ومر خوف مرتعب على الوجه الشاحب الصغير:

ـ أبي...؟ هل هو هنا؟ هل يعلم؟

وقبل أن ترد كان عليها التراجع لتترك المجال لرجلي الاسعاف أن يصلا إليه، وقال لها أحدهما وهو يقف:

ـ لا يبدو أن هناك إصابة. ولكننا سنجري له فحصاً عاماً للاطمئنان فقط.

ـ سألحق بكم في سيارتي، أريد فقط ترك رسالة لزوجي ليلحق بنا.

كانت تعرف مكان وجود مارتن، ولم تجد صعوبة في معرفة رقم هاتف المزرعة. وأجابت زوجة المزارع على الهاتف، وعندما طلبت ويلما بإصرار التحدث مع مارتن ذهبت المرأة على الفور لاستدعائه.

- ويلما؟

صوته كان حاداً، ونافذ الصبر...

- مارتن لقد حصل حادث.

وكان عليها أن ترفع صوتها لتتغلب على التشويش الذي شاب المكالمة.

- ماذا؟ هل أنت بخير؟

وأذهلها أن يفترض على الفور انها هي من أصيبت بأذى، فابتلعت ريقها بألم وقالت له:

- أنا بخير... انه روس... وقع... وقعته سيئة، وفقد الوعي لبعض الوقت، ولكنه استعاد وعيه لحظة نقله إلى سيارة الاسعاف وقد أخذوه إلى المستشفى يا مارتن، وأنا وجو سنلحق بهم إلى هناك.

سمعته يقول شيئاً، ولكن التشويش زاد ولم تتمكن من فهمه، ورفعت صوتها تسأله ما إذا كان سيلحق بهم وبأعجوبة صفا الخط واستطاعت أن تسمع كل نبرة توتر في صوته وهو يقول:

- أجل سأكون هناك في أسرع وقت ممكن.

وسألها جو بعد أن أعادت السماعة:

- هل سيذهب والدي إلى المستشفى؟

ولاحظت ويلما انه يريد من والده أن يكون هناك، ورقّ له قلبها

فمسحت على شعره الأسود الذي يشبه شعر أبيه:

- أجل، في أسرع وقت ممكن.

- سيكون روس على ما يرام أليس كذلك؟ سيكون على ما يرام؟

فابتسمت له دون تعليق.

بعد ذهاب الصدمة الأولى، أحست بالضعف والارتجاف، وأحست انها قد لا تتمكن من السيطرة على السيارة، ولحسن الحظ وصلا المستشفى بسلام، وأسرعا نحو قسم الطوارىء حيث اعطت اسمها للممرضة المسؤولة:

- اه... أجل... روس، لقد أخذ إلى قسم الفحص ليجري عليه الدكتور ديكنز الفحوصات اللازمة، والدكتور ديكنز وهو كبير مستشارينا الطبيين. ولحسن الحظ هو معنا اليوم. أرجوك ابقي في غرفة الانتظار.

وأحست ويلما برغبة في الصراخ، هي لا تريد الذهاب إلى غرفة الانتظار، تريد فقط أن تذهب إلى روس، ولكن قبل أن تقول هذا فتح الباب بقوة ودخل مارتن.

- دادي!

وأفلت جو من يد ويلما ورمى بنفسه بين ذراعي والده، وأخذت الدموع تملأ عينيها وهي تنظر إلى الطريقة الحنونة التي انحنى فيها مارتن على ولده يطمئنه. وتقدم منها:

- أين روس؟

فقالت له الممرضة:

- الدكتور ديكنز يفحصه، إذا أردت رؤيته سيد كيمبل...

وللحظات ظنت انها ستبقى لوحدها بعد أن ذهب مارتن ومعه جو إلى قسم الطوارىء، ولكن مارتن التفت إليها وقال:

ـ سيرغب روس في رؤيتك أيضاً.. فهل تأتين معنا؟

أسرعت راكضة بتوق إلى جانبه على الرغم من مظهر عدم الرضى من الممرضة، ووجدوا روس في غرفة جانبية من قسم الطوارىء، جسد صغير نحيل هش يستلقي فوق السرير الأبيض، ورجل طويل بشعر رمادي ينحني فوقه. واستوى في وقفته عندما شاهد مارتن وابتسم له.

ـ لا شيء يُقلق هنا، مجرد صدمة قوية وألم في الرأس.

وأسرعت ويلما إلى جانب روس، فيما انتحى المستشار بمارتن جانباً وبينما ابتسمت في وجه روس الشاحب سمعت الرجلان يهمهمان خلفها ثم تقدم المستشار ليقف قربها قائلاً:

ـ زوجك ذهب ليتأكد من صحة كل الاجراءات. أظن أن بإمكانك الذهاب إلى المنزل الآن أيها الشاب، لا أرى سبباً لبقائك هنا، مع أنك كنت محقة يا سيدتي لاستدعائك الاسعاف، انه محظوظ وكان من السهولة أن يتأذى. فنحن هنا لا نملك ما يلزم لجراحة الدماغ، وكنا سنضطر لنقله إلى العاصمة لأجل هذا.

وذهب جو معها في السيارة بينما أخذ مارتن روس معه في سيارته. ومع انه كان لا يزال تعباً، إلا أن لونه بدأ يعود إليه وأدّت ويلما صلاة شكر لله مخلصة على سلامة روس.

• • •

٨ ـ الهرب إلى الأمام...

في الأيام الأولى التي تلت الحادث، انشغلت ويلما بالعناية بروس الذي عليه أن يبقى هادئاً، وهذا أمر ثبت انه تحدٍ كبير. وما أدهشها حقاً، هو أن مارتن كان يتولى واجبات الرعاية مكانها عندما يعود من عمله.

لأول مرة استطاعت أن تراقبه عن قرب، وأدهشتها رقته وصبره، مع حزمه الذي كان يظهره كلما أبدى روس ضجره من الحجز الإجباري، فقد كان لديه براعة في تهدئة ابنه هي نفسها لم تتوصل إليها.

ولتزداد خيبة أملها يوم تأكدت انها ليست حامل. ولكم كانت آمالها عميقة في أن تحصل على ولد من مارتن تحبه وترعاه قدر ما حُرمت من حب والده؟

ما عرفته من تجاربها الخاصة دفعها إلى تغيير الكثير من مواد كتابها الجديد. وعندما خرج زوجها في الصباح إلى عمله، اتصلت بالناشر لتتحدث إليه حول الأمر. وكان الحديث طويلاً. ولكن لحسن الحظ تفهم الناشر وضعها وحدد لها وقتاً مناسباً، فسيكون من المستحيل عليها العمل قبل انتهاء عطلة الصيف وعودة الولدين

إلى مدرستهما.

ستفتقد بالتأكيد لرفقتهما عندما يعودان إلى المدرسة، ولكنهما بحاجة إلى رفقة الأصدقاء من عمرهما، وإلا سيكبران معزولان، وهذا ما لا تريده لهما.

وتلقت بعد الظهر مكالمة من شقيقتها تدعوها فيها إلى العشاء ليلة السبت القادم. ولكن ويلما علّقت موافقتها متعللة بأن مارتن قد لا يكون مستعداً، وانها ستعلمها في الغد. وقررت أن لا تخبر زوجها بأمر الدعوة. ففي وضعها الحالي المعرض للخطر من المستحيل أن تخاطر بليلة كاملة برفقته دون أن تفضح نفسها. والمسافة ما بين منزلهم ومنزل روزي جيئة وذهاباً سيعطيه فرصة سانحة لأن يبحث معها موضوع الزواج. واحمرّ وجهها بشدة حينما فكرت بتجاوبها العاطفي معه.

في الصباح التالي تأخرت عن النزول إلى الطابق الأرضي أكثر من المعتاد. فقد كان جو مريضاً خلال الليل وعندما دخلت في الصباح لتوقظه وجدته شاحباً وتعباً. وظنت أن السبب هو تناوله الكثير من الفاكهة غير الطازجة من الحديقة، واقترحت عليه البقاء في السرير إلى أن يشعر بالتحسن.

وكان مارتن يقف في المطبخ يحضر إبريق قهوة. حين قالت لزوجها:

ـ جو يبدو اليوم تعباً. لقد تناول الكثير من التفاح الأخضر، كما أشك.

ـ آه... سأصعد لألقي نظرة عليه... بالمناسبة اتصلت شقيقتك ولقد أكدت لها اننا سنذهب إليها ليلة السبت... ما بك؟

ألا يمكنك احتمال رؤية روجر ديكس مع شقيقتك... زوجته؟

واستدار على عقبيه متجهاً نحو الردهة.

من سوء حظها أنها لم تكن موجودة باكراً عندما اتصلت روزي... الآن لم يعد هناك مهرب من ليلة السبت... أو من مارتن. وعاد إلى المطبخ بعد أن ألقى نظرة على جو:

ـ الأفضل أن يبقى في الفراش هذا الصباح. وسيتحسن تدريجياً.

أعمال الديكور في المنزل كانت على وشك الانتهاء. وفي الأسبوع القادم سيصل السجاد الجديد كذلك الأغطية التي أوصت عليها للمفروشات والستائر كذلك. وأرعبها كم تسرعت في اعتبار هذا المنزل «بيتاً» لها.

بحلول يوم السبت كانت أعصابها في أقصى تصلب لها. وسرها أن استدعي مارتن على عجلة لأمر طارىء في مزرعة نائية، وأملت أن يعني هذا انه لن يتمكن من الذهاب إلى عشاء روزي، ولكنها سمعت صوت سيارته تقف أمام المنزل في وقت كانت تضع للولدين وجبتهما المسائية.

دخل مارتن المطبخ ليفرك شعر كل منهما بدوره، وابتسم له روس، وقد زالت من نفسه تحفظاته السابقة تجاه والده. وإذا لم تكن ويلما قد حققت شيئاً إلا هذا فهو يكفيها. وسألها مارتن وهو يتناول قطعة بسكويت:

ـ في أي وقت سنذهب إلى روزي؟

ـ الثامنة والنصف.

ونظر إلى ساعته فبدا لها الأمر مثيراً . . . لكن ذلك أزعجها .

ـ ويلما هل أنت بخير؟

ساد الارتباك عينيها للحظة :

ـ أجل . . . أجل . . . أنا بخير .

ـ ولكنك تبدين شاحبة .

وغادرها ليغيب لحظات ويعود وبيده حبة دواء وكوب ماء .

ـ خذي . . . اشربي هذه . . . تبدين بحاجة إليها .

أرادت أن ترفض ولكنه كان ينظر إليها وكأنه سيريق الماء والدواء قسراً في فمها إذا رفضت، ولم تره بهذا الغضب منذ تلك الليلة . ولم تكن تتوقع أن يشملها مثل ولديه بالعطف وناولها الكوب والدواء قائلاً :

ـ هل أنت واثقة أنك بخير؟

وفجأة أدركت ماذا يدور في ذهنه، فقد مرت بهذه التجربة، من الواضح انه يفكر بإمكانية حملها، وبدا عليه أيضاً انه ليس سعيداً للفكرة . فأخذت الكوب منه وأخذت حبة الدواء بسرعة . وقالت له بخشونة :

ـ أنا بخير تماماً .

وسمعته يقول :

ـ سأصعد لأستحم لأترك لك المجال للاستحمام .

عندما كانت تضع اللمسات الأخيرة على زينتها سمعت صوت وصول جليسة الطفلين فأسرعت إلى الأسفل لتقدم نفسها لأليس ووالدها، وقد خمنّت ويلما أن مقصد الرجل هو التعرف على الأسرة التي استأجرت ابنته وانتابها إحساس بالمرارة لمثل هذا

الاهتمام الأبوي .

كان لأليس شقيقان أصغر منها، كما قالت لويلما وهي تقدم لها الولدين، ولاحظت أن تصرفها معهما كان ودياً بالتأكيد، والتقطت ويلما حقيبة يدها، وابتسمت للفتاة واتجهت نحو الباب تاركة مارتن يلحق بها .

ـ هل ستقودين السيارة أم أقودها أنا؟

ـ أظن أنني سأفضل لعب دور المسافر، فهذه الثياب تتسخ بسرعة .

ـ هاه . . . انها من الحرير، أليس كذلك؟

ومد يده يتلمس القماش، وكان يقف قريباً جداً منها حتى انها أحست بحرارة جسده . ولزمها كل ذرة من إرادتها لتمنع نفسها من الذوبان، ولأن تتوسل أن يحيطها بذراعيه . ونسيت كم أن كعبي الحذاء مرتفعين، فتعثرت وهي تسير فوق أحجار الأرض، ومد يده ليسندها، واضعاً اصابعه حول ذراعها مما جعلها ترتجف، فأحس بذلك وسألها :

ـ هل تشعرين بالبرد؟

ـ لا، لقد خفت، ظننت انني سأقع .

ولحسن الحظ تقبل تفسيرها، فتركها على الفور واتجه إلى السيارة وفتح لها الباب . هدأ خوف ويلما من أي حديث عن زواجهما، حين وضع مارتن شريطاً موسيقياً ولم يتكلم طوال الطريق .

خرجت روزي لتستقبلهما وقد انتفخت بطنها أمامها واحتضنت ويلما التي ضحكت فأجابتها روزي متحدية :

ـ انتظري لتري عندما يحين دورك.

إلى جانبها، أحست بمارتن ينتفض، ودون أن تنظر إليه علمت بماذا يفكر. ولم تستطع اخفاء نبرة السخرية من صوتها وهي ترد:

ـ حسناً، من المؤكد أن هذا ليس منتظراً في الوقت الحاضر.

ومع أنها وجهت التعليق إلى شقيقتها، إلا أنها عنت به مارتن، ولكن لدهشتها، بدل أن يجعله هذا يرتاح بدا أنه قد ازداد توتراً.

ـ تعاليا إلى الداخل وقابلا الآخرين.

كان لروزي بريق جديد وثقة بالنفس أعادا إليها الكثير من حيويتها. ولاحظت ويلما انها أقل ميلاً للتعلق بروجر، وتصرفاتها كانت واثقة وهادئة.

لم يبدر إلى ذهنها أن تلتقي بهذه الصحبة المثقفة من العلماء من زملاء روجر، ولا أن ترى هذا المنظر الأكاديمي أمامها، بل كانت تتوقع العكس. ومع انها لم تعلق على الأمر عندما عرضها روجر على رؤسائه. وكأنها سلعة ثمينة من نوع معين من المعارض. إلا أن الوميض في عينيها حذره من أنها لا توافق أبداً على استخدامها كوسيلة للدفع من مستوى وظيفته. ولكن روجر قال للجميع:

ـ ويلما على وشك تسليم دار النشر كتابها الجديد، وأظن أن العنوان هو «الحب وتأثيره على الثقافة الغربية».

وسرّت ويلما جداً في أن تتهرب بذريعة مساعدة روزي في المطبخ. وعندما سحبت ذراعها من قبضة روجر الشديدة عليها، لاحظت أن مارتن مستغرق في الحديث مع زوجات زملاء روجر. إحداهن، امرأة جميلة جذابة بشكل خاص في أواخر الثلاثينات من

عمرها، كانت تقف ملاصقة له حتى أن جسديهما تلامسا. ويبدا أنه يتمتع بهذا التلامس. وأخذت المرأة تستدير نحوه، تلمس ذراعه للتأكيد على نقطة حديث ما، وابتلعت ويلما ريقها بصعوبة وهي تلاحظ الطريقة التي ينظر فيها مارتن إلى وجهها الجميل، فتخللت الغيرة كل جسدها.

ـ ويلما...؟ هل هناك خطأ ما؟

كانت روزي تنظر إليها باستغراب، وارجعها صوت شقيقتها إلى واقعها:

ـ لا.

ـ اوه... يبدو عليك وكأنك بحاجة إلى شراب ينعشك. يا إلهي كم تغيرت أمور كثيرة، فأنا لم أشاهدك بهذا الاضطراب من قبل.

وتوجهتا إلى المطبخ وتابعت روزي ثرثرتها:

ـ كل شيء معد ومنظم. وهذا الطقس الحار سبب وجيه لتجنب الطعام الدسم، لقد صنعت فطائر جبن، ولو جلس الجميع إلى الطاولة معاً لن يكون هناك أي مشكل. لقد اشترى لي روجر آلة صنع الآيس كريم منذ اسبوعين. وقد جربتها اليوم لصنع الآيس كريم بالليمون، وسأقدم «السلمون» مع الأعشاب المطيبة والبهارات، ومختارات من الخضار و...

كان في صوت روزي ما يكفي من الطلاقة والانغماس جعل ويلما تنظر إليها متفحصة، فسارعت روزي للتفسير بعد أن فهمت نظرة شقيقتها:

ـ اوه... لا بأس بهذا... فمنذ زواجك أدركت أن روجر

ليس ذلك القديس الذي توهمته، وبصراحة يا ويلي، أشعر براحة أكبر الآن وقد عرفت انه من البشر مثله مثل أي شخص آخر ولم أعد أشعر بأن عليّ أن أعمل جاهدة لأجل ارضاءه. وأظن أنني كنت أعرف طوال الوقت انك لست مهتمة به، ولكنني لم أكن راغبة في الاعتراف بهذا الواقع لنفسي.. واستخدمتك كخطة دفاع، كما أظن. وزواجنا ليس مثالياً، ولكنه ثابت حتى الآن، وأنوي أن أتأكد من استمراره هكذا.

ولكن، حتى ولو استمرت في هذا النمط من التصرف، فروجر سيستمر في خيانته لها، ويجب أن تعرف هذا. وأخذت بضع صحون واتجهت بها إلى غرفة الطعام وما أن وقع نظر روجر عليها حتى سارع إلى تقديم كوب شراب لها قائلاً:

- لا ترفضيه، سينعشك، أرى أنك مضطربة وهذه ليست عادتك، هل بدأت تعانين من ضغوطات الزواج؟

- روزي تريد الجميع أن يجلس إلى المائدة، فالطعام جاهز.

تركته لينظم جلوس الضيوف، وأسرعت إلى مارتن الذي كان لا يزال يتحدث إلى النساء. وقالت لها كبرى الثلاثي النسائي:

- يا عزيزتي، زوجك رائع انه رجل فاتن. وعليّ الاعتراف بأن لدينا اشياء مشتركة فقد درست في الجامعة نفسها قبل أن أتزوج من عالم جامعي وقد تخليت عن أي عمل بعد انجاب الأولاد.

وقالت الشقراء الواقفة إلى جانبه بنعومة:

- شخصياً، أجد المهندسين الزراعيين أكثر الرجال فتنة، ربما لأن لديهم بُعد نظر.

وتملك ويلما رغبة في التعليق بشيء صبياني فظ. فقد بدا

واضحاً أن النسوة يتملقن مارتن ويغازلنه بينما هو، اللعنة عليه، لم يكن يفعل شيئاً لردعهن. أين ذهب البرود الذي تعودت عليه؟ وقالت الشقراء:

- اوه هذا جيد... سأجلس إلى المائدة بجانبك.

وبدا الأمر لويلما سخيفاً أن تتصرف امرأة أربعينية بهذا الشكل وجلست قرب مارتن. ولاحظت أن مارتن ينظر إليها مقطباً، ولكنها لم تهتم، وأخذت تتناول طعام أختها الشهي واحتست كوبين من الشراب المقبّل.

وما أن بدأت بتقديم «السلمون» حتى انحنى مارتن نحوها وقال هامساً:

- أقترح عليك التوقف فوراً عن أي شراب.

هل يشير إلى أنها تناولت الكثير من الشراب؟ ولكن المرأة الأخرى الشقراء شربت مثلها تقريباً.

على كل من هو مارتن ليقول لها ما تفعل أو ما لا تفعل؟

ومدت يدها بكوبها إلى صهرها ليملأه لها، ورفعته باتجاه مارتن متحدية قبل أن تحتسيه، لقد بدأت الأمسية تتجه اتجاهاً لامعاً لم تكن تتوقعه، وهي بالفعل لا تتذكر متى كانت آخر مرة مرتاحة لشيء ما. ولكن، لو أن هذا التوتر الداخلي يزول!

وبالطبع أصبح من المستحيل عليها أن ترفض ما يصبه لها صهرها من شراب، مع انها أصبحت بحاجة إلى كمية كبيرة من التركيز لترفع الكأس إلى شفتيها بدون أن يسيل منه شيء.

فيما كانوا يتناولون القهوة و«البيتي فور» في غرفة الاستقبال نظرت إلى كأسها فوجدته ممتلئاً، ونظرت إليه متعجبة، فسمعت

روجر يهمس لها:

ـ هيا ويلي، انهيه كله.

بدا وكأنه يتسلى بشيء ما. ولكن ما تناولته من شراب أعجزها عن التحليل.

بعد أن قال لها مارتن انها أفرطت في الشراب، تجاهلها تماماً. وسمح لنفسه أن ينغمس مع الفاتنة الشقراء.

وما هو الشيء الذي تملكه المرأة هذه ولا تملكه هي؟ لا بد أن لديها شيء فمارتن بالكاد يبعد نظره عنها. حتى روزي لاحظت هذا، فقد توقفت مرة لتنحني وتتمتم معتذرة لشقيقتها:

ـ آسفة لعبثها مع مارتن، ولكنها ذلك النوع من النساء، كما أخشى.

ولأول مرة لم تصد ويلما روجر عندما جلس قربها. أراد أن يحدثها عن كتابها، ولكنها منعته، فهي لا زالت تذكر انها ستغير بعض ما كتبته بشكل رئيسي. إذ لم تعد الآن قادرة على صرف النظر عن سلطة «الحب» كما فعلت في السابق.

وسألها روجر وهو يشير إلى مارتن:

ـ وكيف تجري التجربة إذن؟

كلماته اخترقت الضباب الذي تشعر به حول رأسها، لتذكرها بما ادعته عندما أخبرته بزواجها من مارتن، وكيف انه سيضحك الآن إذا علم الحقيقة! الحقيقة انها وقعت في حب رجل لا يرغب فيها أبداً. وأحست بوجهها يتقلص وهي ترسم عليه ابتسامة وتقول بخفة:

ـ حتى الآن، بشكل جيد. لقد تعرفت عن كثب على مسألة الزواج. لقد تمكنت من الحصول على معلومات قيمة من التجربة لكتابي.

الكبرياء، والكبرياء وحده هو الدافع لكلماتها. ومارتن بعيد عنها ولن يسمع ما قالت. ورأت روجر يبتسم، فدق جرس انذار في مكان ما من عقلها. لقد شربت الكثير، وإذا لم تكن حذرة فستفشي الكثير من الأسرار.

ـ أعرف من هذا انه لا يزال جاهلاً سبب زواجك منه بالضبط؟

هزت رأسها، ولكنها تمنت لو انها لم تفعل، فقد دارت بها الدنيا قليلاً. واستطاعت أن تشاهد مارتن يقترب منها، وتملك الخوف أعصاب معدتها. وكانت روزي معه. وأحست ويلما بإحساس مربك في كل جسدها لمجرد وقوفه فوقها ينظر إليها، وكأنها طفلة منحرفة وليست راشدة.

ـ أظن من الأفضل أن نغادر.

وبالرغم من توجيهه كلامه لروزي فقد علمت أنه يقصدها.

ـ اوه... بالطبع ليس بعد. دعوني أصب لكم كأساً أخيراً.

وكان المتكلم روجر، يبتسم بمرح وكأنه سمع نكتة ظريفة. ورد عليه مارتن بحزم وتحفظ:

ـ لا أظن هذا. فأنا سأقود السيارة، ولقد شاهدت الكثير من الحوادث سببها شرب السائقين.

ـ ولكن ماذا عن ويلما، انها لن تقود.

ـ لا... أظن أن ويلما قد شربت ما يكفي.

أرادت ويلما أن تحتج بأن ليس من حقه معاملتها وكأنها طفلة،

وأن يقوم بمثل هذا القرار عنها، ولكن بطريقة ما أصبحت يده تحت ذراعها، ليجبرها على الوقوف، وليسير بها إلى الردهة وروزي تمسك بها قلقة من الجانب الآخر. وسمعت شقيقتها تقول عبر الضباب الذي بدأ يلف أحاسيسها

ـ اوه يا عزيزي... لست أدري ما دهاها الليلة. انها لا تشرب عادة.

كل ما تذكر من المسافة إلى القرية، مجرد ذكريات خفيفة متقطعة. فقد غطت في النوم حالما دخلت السيارة، بعد ذلك أحست مارتن يهزها بعنف لتستفيق حال وصولهما إلى المنزل...

حاولت النزول من السيارة، فوجدت ساقيها ضعيفتين لا تقويان على الوقوف وكأنهما سيقان مُهر مولود حديثاً. وسمعت مارتن من فوقها يشتم، ثم أصبحت فجأة فوق ذراعيه ليحملها إلى غرفتها. وهناك رماها دون اهتمام فوق السرير ووقف ينظر إليها متجهماً. وقال لها باختصار:

ـ سأتحدث معك حال أن تذهب أليس، فبطريقة ما لا أظن أن والدها سيكونّ انطباعاً جيداً عنا إذا رآك في هذه الحالة.

كان في صوته سخرية أكثر من الازدراء، ومع ذلك فلم تكن تعي لماذا يجب أن تبدو غير لائقة. ووقفت عن السرير، وانزعجت من الطريقة التي أخذت الغرفة تميل فيها من حولها، وببطء اتجهت نحو الحمام، سمعت أصواتاً في الطابق الأرضي وعرفت أن والد أليس وصل ليأخذ ابنته.

في الحمام خلعت ملابسها ووقفت تحت الماء، ترتجف من برودته، تقول لنفسها انها تستحق هذا القصاص المثلّج المعذب.

وساعدتها المياه الباردة على صفاء رأسها قليلاً، ولكنها استمرت تحس وكأن جسدها لا عظام له، وقد اختلّ توازنها وساقاها لا تتجاوبان وتمكنت من سحب نفسها من تحت الماء. أخذت أسنانها تصطك، وحاولت جاهدة الوصول إلى الناحية الأخرى من الحمام لتحمي نفسها في دفء المنشفة.

وسمعت مارتن يصعد السلم، يناديها بعد أن لم يجدها في الغرفة. وفي اللحظة التالية اقتحم الباب ودخل، ليتوقف فجأة وهو يتفحص جسدها المبتل المرتجف.

ـ ماذا تفعلين بحق الجحيم...؟

ـ لقد فكرت أن حماماً بارداً قد ينعشني.

وبدا جسدها كله في براثن قشعريرة برد هائلة، حتى انها لم تكن لتجرؤ على ترك حافة الحمام. وسمعت مارتن يلعن ويشتم ثانية، ومد لها يده بالمنشفة وهو يتجه نحوها. وسمعته يصيح بغضب شديد:

ـ ايتها الحمقاء المجنونة، ألا تعلمين تأثير صدمة البرد على كل جهازك العصبي في ليلة حارة كهذه، وخاصة وأنت في هذه الحالة؟ تعالي إلى هنا.

واستطاع أن يلفها بالمنشفة، وأن يفتح اصابعها الملتصقة بطرف الحمام، ثم يحملها بين ذراعيه وكأنها تماثل وزن الصغير جو.

أدخلها إلى غرفتها، وجلس على السرير وهي على ركبتيه، وأخذ يفرك جسدها المتجمد برداً بالمنشفة.

وببطء توقف الارتجاف، وحل مكان البرودة حرارة مخدرة خطرة. استطاعت على الفور أن تتعرف إليها. وبأعجوبة أصبح رأسها الآن صاحياً. ما الذي استحوذ عليها لتفعل ما فعلت؟ وخاصة بعد أن حلرها مارتن أن لا تفعل؟ يا للسماوات، ألم يكن في مقدورها أن تدرك بنفسها ما تفعله؟

ولكنها تعرف تماماً لماذا فعلت هذا: أساساً كانت خائفة أن يستغل مارتن فرصة وجودهما لوحدهما في طريق العودة ليقول لها انه يريد انهاء زواجهما. وثانياً لأنها لم تستطع مطلقاً تحمل رؤيته إلى جانب تلك الشقراء.

ـ هل انت بخير الآن؟

وتوقف عن ملامستها، يداه ترتاحان بخفة على خصرها على استعداد لابعادها عنه ومغادرة الغرفة، وأحست بالبؤس. لو انه يبقى معها، لو أن هناك طريقة، وعلقت أنفاسها في حنجرتها، وأخذ جسدها يتألم وهي تحس برغبته في الابتعاد عنها.

ـ مارتن...

ورفعت وجهها إليه، تحدق في المدى، الذي يمتد في عينيه. اصابعها اخذت تعبث ببشرته، وتتلمس اطراف فكه، بحركة متوسلة يائسة.

ـ أرجوك لا تذهب... ارجوك ابق معي.

جزء منها كان مذعوراً مما قالته، ومما تفعله، ولكن الرغبة غمرتها وهو يحرك يديه من خصرها إلى ذراعيها، ليستعد لابعادها عنه، ودون التفكير كما يجب، تعلقت به، وضغطت وجهها في صدره، وأخذت تشد بذراعيها عليه، ولم تدرِ، ولا حتى اهتمت،

بأن المنشفة انزلقت عنها.

وأحست بأصابعه تطبق على معصميها، ولكنه لم يدفعها عنه، وأحست به فجأة يسترخي، ويده ترتفع إلى ظهرها ثم إلى رأسها، حيث اصابعه تتخلل شعرها وهو يتمتم:

ـ يا الهي... لا أريد هذا... ولكنك تجعلين الأمر مستحيلاً. أن أرفضه.

● ● ●

٩ ـ هل تعودين إليّ؟

أحست بيد رقيقة على كتفها.

ـ ويلما... ألم تستيقظي بعد.

صوت جـو الرقيق المتعجب، قطع تواصل نومها. ونظرت إلى ساعتها وذعرت لمعرفتها أن الوقت تجاوز التاسعة، لا بد انها نامت وكأنها جذع شجرة مرمي فوق الأرض. احست بجسدها يؤلمها، وفمها جاف ومتحمض قليلاً، ولكنها لم تكن تحس بألم في رأسها. وفجأة توتر جسدها بعد أن بدأت الذكرى تطفو وترفض أن تتركها. فأغمضت عينيها، تحس بأن بشرتها قد أصبحت حارة.

يا إلهي!... ليلة الأمس أغوت مارتن فعلياً، وتكور جسدها تحت الغطاء من الخجل والألم، لماذا لم يوقفها عند حدها؟ وقلبت شفتها قليلاً. ولماذا تتوقع منه أن يكون أقل رغبة مما كانت هي عليه؟ على كل من الطبيعي أن يكون حاضر الرغبة بعد تعرضه لعبث تلك الشقراء المتعمد. وارتجفت لدى تفكيرها بانه استخدمها كغطاء لرغبته في امرأة أخرى.

ـ ويلما...؟

جـو كان يقف الآن قرب السرير ينظر إليها بتقطيبته الصغيرة:

ـ قال لي أبي أن لا أزعجك، ولكنني وروس جائعان، وكان

على أبي أن يخرج بعد مخابرة مستعجلة.

ـ سأنهض حالاً.

لا فائدة من البقاء في السرير، على الأقل لن تضطر لمواجهة مارتن في الحال، مع انها لا تعرف ماذا ستقول له لشرح تصرفها عندما تراه. وقررت، ولو بجبن، أن تترك له هو أن يثير الموضوع. على كل كان صريحاً ومحدداً عندما وضع قوانين زواجهما، وفي هذه المرة قامت هي بالتأكيد بتحطيم أهم القوانين.

دخل مارتن المطبخ عندما كانت تغسل الصحون بعد الافطار والولدان في الحديقة. ومع أنها سمعت سيارته، فقد أبقت ظهرها نحو الباب، فهي ليست واثقة كم ستكشف عما في نفسها إذا واجهته.

وما ان فتح الباب، حتى أحست بجفاف حلقها، وفتحت الماء البارد لتملأ كوباً وتشربه.

ـ عطشى؟

ووقف خلفها تماماً، وأجفلت لاقتراب صوته الأجش منها. له الحق أن يبدو مديناً لها، ومن السخف أن تتمنى أن يضمها بين ذراعيه ويقول لها انه يحبها، أمر سخيف ومستحيل.

ودون أن تلتفت هزت رأسها، ثم تمتمت:

ـ ولكنني أستحق كل هذا.

واحمر وجهها لما فعلته ولتذكرها انه حاول إيقافها. وتبع الصمت ملاحظتها... ثم تنهدت وقالت متلعثمة:

ـ أخشى انني نسيت الكثير مما حدث ليلة الأمس.

وأحست بالتوتر يغلف جسدها، وأسقمها علمها انها لأول مرة

قد كذبت متعمدة الكذب. أعطته الآن الفرصة المثالية ليقول لها دون شروط مسبقة ما حدث بالضبط ليلة أمس، ولكن، لدهشتها وعدم تصديقها، تحرك مبتعداً عنها قليلاً، وجذب كرسياً ليجلس عليها.

الصمت أجبرها على الاستدارة والنظر إليه، كان مقطباً، وجهه تعب، فتلوى ألم الذنب والحب معاً في داخلها. أرادت أن تتقدم منه لتتوسل إليه أن يفهم لماذا تصرفت كما تصرفت، ولكن الخوف أوقفها، لقد عرفت الآن تماماً لماذا فضلت روزي التصديق بأن روجر كان على علاقة بها بدلاً من واحدة أخرى. ولماذا تمسكت شقيقتها بزواجها بالرغم من معرفتها بأن زوجها غير مخلص لها. الآن، أخيراً، فهمت كم هي «شالّة» تلك الأحاسيس التي يسمونها «الحب»! ولكنه قال لها بهدوء:

ـ انا أعرف انك غير معتادة على الشرب، وهذا يجعلني أتعجب لفعلتك هذه.

نظر إليها، ولم تستطع سحب نظرها عنه، واتسع فمه بابتسامة ساخرة وصوته مليء بالازدراء الباعث للقشعريرة وهو يضيف:

ـ ربما كان السبب هو توترك لرؤية حبيبك مع شقيقتك.

أبعد كل ما حدث، لا يزال يصدق أنها تحب روجر؟ ولم تتمكن من التصديق بانه لم يخمّن الحقيقة بعد. ودون أن ترد عليه بدأت تحضر القهوة. وكأنما لم يكن يتوقع منها رداً، فتح الجريدة وأخذ يطالعها.

لقد مرت المحنة إذن، وهو لن يطرق موضوع ما حدث ليلة

أمس بينهما. ربما صدق فعلاً أنها لا تذكر ما حدث. وربما أحس انه ملوم أكثر منها لتجاوبه مع حاجاته. وربما انه بسبب أولاده لا يريد انهاء زواجهما. فلقد تمكنت على كل حال أن تؤسس رابطاً قوياً معهما، وهذا هو السبب الرئيسي لزواجه منها.

بعد أسبوع من حفلة عشاء روزي زارتها لورين، لتؤكد لها وجهة نظرها حول تجاهل مارتن لما حدث بينهما تلك الليلة.

كانت تجلس معها في المطبخ تشربان القهوة، وتراقبان الأولاد الثلاثة يلعبون في المرجة بدراجاتهم. لقد مرّ عيد ميلاد تيد منذ قليل وحصل على دراجته الجديدة، وجلبها معه ليريها لولدي خاله. التوتر والعداء القديم بينهم كان قد زال الآن، وبملاحظتها هذا قالت لورين:

ـ هذا كله من صنعك، أتعلمين هذا. لقد أعطيتهما الكثير يا ويلي. أحياناً عندما أنظر إليهما لا أستطيع تصديق ما صنعته في حياتهما. ومن المذهل رؤية الأثر الذي يتركه الحب الحقيقي على الولد.

ـ ولكنهما كانا محبوبين قبلي... لقد أحبهما مارتن.

ـ أجل أعلم، ولكنهم لم يكونوا قادرين على الاتصال فيما بينهم. فمارتن كان لا يزال يعاني من عقدة الذنب تجاه موت والدتهما، ولا أظن السبب انه يلوم نفسه لمقتلها فقط. فهي دائماً كانت أنانية قاسية، والواقع انه يلوم نفسه لأنه بسببها لم يعد يشاهد الأولاد، فقد خلقت جداراً بينه وبينهما. ويجب أن أقول انني أحس بالسعادة لمعرفتي أنني مصيبة وأن أخي العزيز مخطىء ولو لمرة واحدة، فهو لم يكن يرغب...

وتوقفت عن الكلام، واحمّر وجهها قليلاً، ولكن ويلما ابتسمت لها وقالت بمرح قدر ما استطاعت.

ـ اوه... لا بأس عليك لور، أعرف انه لم يكن يريد الزواج بي، على الأقل في البداية.

ـ ربما هذا صحيح. ولكنني مؤمنة الآن أن ما من شك يخالط ذهنه حول نجاح زواجكما الآن. فالولدان يحبانك، وهو بنفسه يبدو مرتاحاً. وكلاكما مناسب للآخر يا ويلي.

ـ زواجنا هو مجرد ترتيب مصلحة ولا شيء أكثر.

وأكلمت لورين:

ـ أعرف أن الأمر بدأ كما تقولين، ولكنني لا أظنك أبداً غير مهتمة به كما تدعين، يا ويلي، وكذلك هو. لقد شاهدتكما معاً. اوه... أنا أعرف أن مارتن لا يكشف الكثير عما في نفسه! لقد آذته زوجته السابقة كثيراً، ولكن تلك كانت غلطته، فأي إنسان كان بإمكانه رؤية كم كانت أنانية، وكنت أقول له لسنوات ان ما من سبب لإدانة جنس حواء كله لمجرد أن امرأة واحدة خذلته.

ـ ولكن الحب لا يمكن أن ينقطع حسب إرادة الإنسان، وإذا كان لا يزال يحبها...

ـ يحبها؟ يا إلهي؟ ماذا أعطاك هذه الفكرة؟ فحتى الوقت الذي تطلقا فيه كان قد أصبح يكرهها. أساساً حاول اقناعها باستبقاء الزواج بسبب الولدين. ولكنها قالت له انها لا تهتم بهما مطلقاً. وكانت تشعر بالمرارة والغيرة من نجاحه، لذلك احتفظت بالولدين وأجبرته على دفع النفقة لها.

ـ وبالطبع استسلم لها بسبب ولديه، لا بسببها.

ـ وجاءت لحظة قالت له انها مسافرة وانها تنوي رمي الولدين له. وقال لي انه لو لم يفقد أعصابه معها لما هربت منه ولما حدث ما حدث. ولكن أساساً لو لم تذهب إليه وتجبره على مواجهتها لما فقد أعصابه. كان حادثاً مفجعاً، ولكنه حادث في مطلق الأحوال... هل تظنين حقاً انه لا زال يحب زوجته السابقة؟

وأحست ويلما بأنها علقت في الفخ، ولكن لا فائدة من الكذب.

ـ أجل... أعتقد هذا.

ـ ولكنك تعرفين الآن انه لم يعد يحبها...

وعلمت ويلما ما تقصده لورين فهزت رأسها:

ـ لا فرق يا لورين، قد لا يكون يحبها الآن، ولكن صدقيني، انه لا يشعر بشيء نحوي.

بعد ذهاب لورين وابنها بقي الحديث عالقاً في ذهن ويلما. فلورين قد خمنت وبسرعة حقيقة مشاعر ويلما تجاه مارتن. ولكن لورين تحب دائماً لعب دور الموفق، كما ثبت يوم أجبرت مارتن على الزواج منها. ألا يمكن أن تكون تحاول، وقد عرفت بمشاعرها نحوه، أن تشجعها على الاعتقاد بانه قد يتجاوب مع مشاعرها لو أنها حاولت التقرب منه؟

لا بد، وانها المرأة العملية، تحس أن مستقبل زواجهما سيكون أكثر أمناً واستقراراً لو تغير من تدبير مصلحة إلى زواج على أسس أكثر طبيعية. وبالطبع قد لا تعلم لورين انهما قد أقاما علاقة معاً، وأن هذه العلاقة لم تحسن وضع الزواج، بل انها زادت الهوة بينهما اتساعاً.

لا... لن تقع في فخ تصديق أن لورين على حق... وأن مارتن قد يكون مهتم بها حقاً، كإنسانة. هذا سيكون قمة تضليل النفس، خاصة وأنها، هي، تعرف الحقيقة!

بعد يومين، تلقت ويلما مكالمة مرعبة من شقيقتها:

ـ ويلما، اتستطيعين الحضور على الفور؟ لقد ذهبت لاجراء الفحص العادي اليوم والطبيب لم يعجبه ضغط دمي، يريد إدخالي إلى المستشفى لبضعة أيام إلى أن يتفحص ضغطي. ولكن ما من أحد يرعى جوزف، ولا يمكنني الاتصال بروجر. انه في اجتماع ولن ينتهي قبل ساعات. لو أمكنك أن تأتي لتأخذي الولد معك.

اتصلت ويلما بلورين وطلبت منها أن تستقبل روس وجو بينما تذهب إلى شقيقتها.

ـ لست واثقة من حالتها، وقد أضطر للذهاب معها إلى المستشفى، لو أنك فقط ترعيهما بينما أجيء بجوزف.

ـ بالطبع سأفعل، أوصليهما إلى منزلي ساعة تشائين.

وكما توقعت، وجدت شقيقتها في حالة نصف هستيريا، وهي حالة لا تفيد أبداً ارتفاع ضغط دمها. وأقنعتها بالجلوس ورفع قدميها، وأكدت لها أن وجود جوزف معها سيكون مرحباً به طوال المدة التي تحتاجها.

ـ ليت الأمر ينتهي عند هذا يا ويلي، روجر سيأتي إلى البيت قريباً وبإمكانه أخذ بعض الإجازات المستحقة له والبقاء معي، ولكنني قلقة لمعرفة الوقت الذي سألازم فيه المستشفى.

ـ كلما قلقت أكثر طال الوقت في المستشفى أكثر. هل سيرسلون سيارة اسعاف أم آخذك بنفسي؟

ـ سيتصل بي الطبيب حالما يدبر لي سريراً.

رن جرس الهاتف، وردت ويلما وبدا طبيب روزي مرتاحاً من وجود شخص مع مريضته، وقبل باقتراح ويلما أن تأخذها بنفسها إلى المستشفى قائلاً:

ـ لو استطعت سيكون الأمر رائعاً، سأكون في المستشفى بانتظاركما.

وضبت ويلما حقيبة شقيقتها، وتأكدت من وجود كل شيء قد تحتاجه. كانتا في منتصف الطريق إلى المستشفى عندما أمسكت روزي فجأة معصم ويلما، وصرخت وعيناها تنطقان بالألم والخوف:

ـ ويلي... لا أريد أن أخسر طفلي... انني خائفة.

ـ لا أظن أن هناك أي خطر على الطفل. وأفضل شيء تفعلينه يا روزي هو أن تسترخي قليلاً... أعطي دمك فرصة لأن يهدأ ويخف الضغط.

كانت تأمل لو أنها على حق. ثم نظرت إلى الخلف لتذكر روزي أن جوزف معهما. وقد يفزع مما تقوله والدته.

ولحسن الحظ، عند الوصول إلى المستشفى كانت روزي قد هدأت. طبيبها كان رجلاً دمثاً لطيفاً، وطريقة تصرفه ناعمة ولكن حازمة.

وبقيت ويلما مع جوزف إلى أن وضعت روزي في سريرها، ثم تقدمت من الطبيب لتسأله عن حالها.

ـ مرتاحة، وأظن أننا جئنا بها إلى هنا في الوقت المناسب... لا... لا خطر هناك من فقدان الطفل... على الأقل طالما تنفذ ما

يطلب منها.

ـ سأبقى مع جوزف إلى أن يعود والده إلى المنزل. هل تعرف كم ستبقى هنا؟

ـ هذا يتوقف على كم ستتصرف بتعقل.

وهذا ما أكد صدق وجهة نظرها لحالة روزي. وكما هو متوقع كان جوزف مكبوتاً في طريق العودة إلى البيت، وخرج من السيارة بسرعة عندما أوقفتها خالته قرب الباب.

ـ هل ستموت أمي يا خالتي ويلي؟

وحضنته ويلما بحنان وقالت مطمئنة:

ـ بالطبع لا. انها بحاجة للراحة فقط. رعايتك ورعاية أبيك عمل شاق لها. هيا بنا لندخل ونتناول الغداء.

كانت تعلم أن جوزف لا يرغب كثيراً في الطعام، كما هي عليه تماماً. ولكن أن تستلم لمخاوفها أمام ابن اختها الصغير فلن ينفع الاثنين. واشتاقت لوجود مارتن المطمئن بقربها.

وصل روجر لحظة انهائهما الطعام، وراقبته ويلما يقطب ويدفع جوزف جانباً عندما ركض إليه، ولم تستطع إلا أن تقارن بين تصرف صهرها وتصرف مارتن. وسأل روجر بغضب:

ـ ماذا يجري هنا؟ اضطررت لترك الاجتماع والعودة إلى البيت... أين هي روزي؟

ردت عليه ويلما بهدوء:

ـ انها في المستشفى.

ولم تحاول اخفاء كرهها له. فزوجته ملقية تحت الخطر في المستشفى وكل ما يهتم به هو انه اضطر لترك اجتماعه. وسمعته

يشتم. فقالت له ببرود:

ـ مهما كان اجتماعك مهماً يا روجر، فأنا واثقة انه لن يكون أهم من حياة روزي.

وبدا غاضباً أكثر وسمعته يتمتم بمرارة:

ـ هي من أرادت هذا الطفل اللعين... وليس أنا.

وشعرت بامتنان لإرسالها جوزف إلى غرفته لينظف أسنانه، وبإمكانها الآن الاستفراد بصهرها لتقول له بالضبط رأيها فيه، والتفت إليها ساخراً:

ـ أنت تتكلمين بشكل رائع. أيتها العاهرة الباردة الأعصاب التي تتزوج لمجرد التأكد من صحة أبحاثها... أيعرف بهذا الأمر؟

ـ لا... انه لا يعرف. إضافة إلى ذلك. فأنت مخطىء وأنا أحبه.

وأحست بالرضى لمشاهدة عينيه تتسعان ثم تضيقان، وصرّ على أسنانه وقال بمرارة:

ـ اللعنة عليك ويلي. اللعنة عليك لقولك هذا لي.

وتوقف عن الكلام لسماعه صوت سيارة تتوقف في الخارج، وتعرفت ويلما على صوت سيارة مارتن القديمة، وأسرعت فوراً إلى الباب. وقبل أن تصل أمسك روجر بها، وجذبها بقوة إلى ذراعيه، وبدأ يضمها بوحشية، قبل أن تدفعه عنها بوحشية أكبر.

وكان الباب قد انفتح، ودخل مارتن ليشاهد روجر وهو يتركها. وعلمت أنها مدينة للظروف، ولكنها كانت في قمة الغضب غير قادرة على تقديم تفسيرات لما حدث فذهبت لرؤية جوزف.

ولكنها دخلت غرفة النوم الإضافية، وجلست على السرير تشهق بأنفاسها عميقاً، إلى أن تأكدت من انها استعادت السيطرة على نفسها. كيف تمكن روجر من التصرف هكذا معها في وقت زوجته... شقيقتها...؟ ولكنها تعرف كم أن روجر يكرهها قلبياً وما ضمه لها ومعانقته إلا لأنه عرف أن مارتن سيدخل عليهما ليراهما هكذا وليس لسبب آخر.

أحست بالجفاف أكثر مما أحست به في حياتها، وخرجت لتأخذ جوزف وتنزله معها إلى الأسفل. وكان مارتن يقف في الردهة ولا أثر لروجر، فقال لها:

ـ سنذهب الآن.

وأخذت تحدق إلى وجهه الثابت ثم إلى وجه جوزف المتوتر الصغير، وعرف مارتن كيف يفسر أفكارها، فقال لها ببرود:

ـ ديكس سيبقى في المنزل ليرعى ابنه. لقد اتصلت بالمستشفى وعلمت أن روزي لن تبقى أكثر من يومين.

وانتظر إلى أن أصبحا في الخارج، ثم قال لها وعلى وجهه قناع مرير من الازدراء:

ـ يا إلهي... كم أنكما زوج من الأخسّاء المحتقرين... أنت...

واستطاعت ويلما أن تفهم كراهيته، ولكن غضبه أفزعها. فهي لم تفهم لهذا الغضب سبباً. ولكنها كانت مسرورة لأنها ستعود إلى المنزل لوحدها.

في الطريق، توصلت ويلما إلى قرار فوري. فالتظاهر بعد الآن لا جدوى منه. ستضطر أن تقول حقيقة مشاعرها لمارتن وتتركه

يتخذ القرار الذي يرغب فيه: الاستمرار أم العكس بالنسبة لزواجهما. ببساطة تشعر بالكثير من الضغط لأن تكمل الطريق معه وهما هكذا، على الأقل، سيعرف أنها لم تكن تستخدمه كعوض عن روجر كما اتهمها سابقاً، وأنها بالفعل لا تحس نحوه سوى بالكراهية.

انها تفضل كثيراً أن يكرهها مارتن لأنها وقعت في حبه بكل غباء على أن يتهمها بمحاولة تحطيم زواج شقيقتها. أضف إلى هذا أنها قد تعبت من كل الادعاءات، ومن تعاظم الجهد الذي يلزمها لاجبار نفسها على الظهور بمظهر غير المكترثة تجاهه.

وصل إلى المنزل قبلها، وترك سيارته متوقفة بطريقة سيئة على عرض الممر. خرج منها وسار إلى المنزل دون أن ينتظرها. وببطء تبعته ويلما إلى الداخل. ودخل رأساً إلى مكتبه، فلحقت به إلى هناك، وتمنت لو انه ينظر إليها، وعندما فعل، كانت عيناه باردتان بالكراهية، فقال له:

ـ مارتن، يجب أن أتحدث إليك.

فقال بخشونة:

ـ ليس الآن يا ويلما. يتوجب علي الخروج، ويجب أن تكوني ممتنة لهذا. فلو كنت مضطراً للكلام معك الآن... الله وحده يعرف أنني لن استطيع السيطرة على نفسي. أن أدخل ذلك المنزل لأجدك بين ذراعيه، زوج شقيقتك.

وتكور فمه بالازدراء والغضب.

ـ ومتى ستعود؟

ـ لست أدري... ولماذا تريدين أن تعرفي؟ هل تفكرين

باستقبال عشيقك في غيابي؟

وكان واضحاً أن الوقت غير مناسب لقول الحقيقة الآن. فصعدت ويلما إلى غرفتها وبقيت هناك إلى أن سمعت سيارته تبتعد، ثم اتصلت بلورين لتقول لها إنها في طريقها لتأخذ الولدين.

أجبرتها لورين أن تبقى لتناول الشاي، وبلغت الساعة السابعة عندما عادت بالولدين إلى البيت، ولم تر أثراً لمارتن. وكان الضغط على أعصابها كبيراً وهي تنتظر عودته كي تتمكن من الحديث معه حتى وصلت إلى درجة الانهيار.

عند التاسعة اتصلت بالمستشفى ليقال لها ان روزي تحسنت. وفي العاشرة والنصف، عندما لم يعد مارتن من الخارج بعد، صعدت واستحمت آملة أن يؤدي هذا إلى إراحتها.

منتصف الليل كانت مستلقية في الفراش، لا تزال مستيقظة، كل جسدها ينتظر متوتراً لسماع أول دلائل وصول سيارته. وبدا وكأن دهراً مر عليها قبل أن يضيء شعاع ضوءها الكبير غرفة نومها. وسمعته يدخل، ويذهب إلى المطبخ، ثم بعد دقائق سمعته يصعد ويدخل إلى غرفته.

عليها أن تحدثه الليلة. وإذا لم تفعل فلن تنام مطلقاً. وارتدت روب النوم وتقدمت عبر الممر لتدق بابه باختصار قبل أن تدخل.

كان مستلقياً بكامل ثيابه فوق السرير، فقال ساخراً عندما رأى دهشتها:

ـ لماذا الصدمة؟ أنا فقط استعير فصلاً من كتابك، مع أنني

أشك في أن أتمكن بسهولة من نسيان أحداث الأمس.

- أرجوك مارتن، الأمر ليس كما بدا.

وعلمت على الفور أنها قد بدأت بداية خرقاء. ولكن بطريقة ما منظره المتعب المستلقي هكذا فوق السرير صدمها وضيع كل ما حضرته من تفسيرات. ودون تفكير أسرعت إليه، تمد يديها بتوسل، ولكنه دفعها عنه بقوة، حتى كادت أن تقع. وقال لها بخشونة:

- لا تزعجي نفسك بالكذب عليّ ويلما. أعرف تماماً ما بدا لي. لقد تزوجتني ليس بسبب شقيقتك كما قلت لي، بل كجزء من اختبار لعين. لقد قال لي حبيبك هذه الحقيقة اليوم.

كلماته كانت كلكمة على الصدر، وكاد يغمى عليها من الصدمة والخوف. فقالت:

- روجر ليس حبيبي، ولم يكن هكذا أبداً. ولن يكون.

- هكذا تقولين... ولكنك لا تنكرين ما قاله لي، أليس كذلك يا ويلما؟ لأنك لا تقدرين.

كيف يمكنها أن تشرح له، في مزاجه الحالي، كيف ولماذا قالت لروجر هذا؟ المسألة كلها كانت متشابكة معقدة، وأعصابها كانت متوترة حتى انها لن تستطيع أن تُفهمه مطلقاً.

- مارتن أرجوك.

- أرجوك ماذا؟ أرجوك أن تنام معي بدلاً من روجر ديكس؟

وضحك بخشونة ثم تابع:

- يا إلهي، أنت حقاً تظنيني أحمق. أليس كذلك؟ حسناً... لقد انتهى الأمر الآن يا ويلما. بإمكانك مغادرة هذا المنزل بأسرع

وقت ترغبين.

ومع أنها كانت تتوقع هذا إلا أن كلماته فاجأتها، هزتها لدرجة الشلل من الإحباط واليأس الذي طغا في نفسها ليسمح لها فقط بالتمتمة:

- ولكن... روس... وجو...؟

- آه... أجل لقد قمت بواجبك على خير ما يرام في هذا المجال، وجيد جداً. وبإمكاني أن أتحمل المخاطرة بما قد يفعله عدم رؤيتهما لك ثانية. ولكنني لن أتحمل وجودك في هذا البيت بعد الآن. لقد كبرا كفاية ليفهما أن الزواج لا ينجح دائماً. على كل الأحوال هذه ليست المرة الأولى التي يمران فيها بتجربة طلاق. لن أمنعهما من رؤيتك إذا كنت ترغبين. ولكنني لن آويك تحت سقف بيتي يا ويلما. في مثل هذا الوقت في الغد أريد أن أراك وقد ذهبت. هل تفهمين؟

بدا غاضباً أكثر من أي يوم رأته فيه غاضباً. ولم تدر كيف استطاعت أن تجرجر أذيالها إلى غرفتها. انه لم يعطها حتى فرصة الدفاع عن نفسها، أو الشرح.

ولم تنم... وكيف لها أن تنام؟ وأعاد عقلها استحضار ذلك المنظر بينها وبين مارتن مرات ومرات، وكم تمنت يائسة لو انه سمح لها بتوضيح الأمور، مع أن قلبها كان يقول لها انه لا يريد منها أي تفسير. كل ما أراده كان الخلاص منها.

بعد الافطار انتحى بها جانباً وكرر كلامه:

- أرجوك... أريدك خارج هذا المنزل بأسرع مما تستطيعين. وسأتولى الشرح للولدين. وسأتصل بك لاتمام اجراءات الطلاق،

وكي تتمكني من رؤية روس وجو، إذا كانت هذه رغبتك. أرجوك لا تقولي شيئاً مهماً. أفضل أن أشرح لهما الموقف بنفسي.

فقالت له بمرارة:

ـ كي تلقي الملامة علي كما أعتقد. لو انك تستمع إلي!

ـ ماذا كنت تفعلين؟ هل كذب عليّ صهرك عندما قال انك تستخدمين الزواج كتجربة لنظرياتك؟

كيف ستتمكن أن تشرح له ما قالته لروجر؟ أليس غريباً أن يغضب مما هو مجرد مسألة بسيطة وينصرف عن المسائل الأكثر أهمية، وتابع متسائلاً:

ـ ألهذا السبب أغويتني؟ كجزء من اختبار؟ يجب أن تبلغيني كيف كان تقديرك لي، أم سيتسنى لي قراءة كل شيء عن نفسي؟

وتقدم منها بغضب حتى بدا لها انه سيضربها، فتراجعت إلى الخلف ترقب الغضب وهو يتلاشى عن وجهه ليحل محله الازدراء، وتابع:

ـ اوه... لأجل الله، لن ألمسك، أشك في قدرتي على هذا الآن... لماذا، لماذا كذبت علي؟ لماذا فعلت ما فعلت؟ ألأنني أخبرتك بأنني لم أعد راغباً في الحب؟ أوجدت هذا تحدياً لك لم تستطيعي مقاومته؟ هل كان...

وصمت... مقفلاً فمه بشدة، وعلمت انه غاضب لأنها جرحت كبرياءه. لأنه يظن انها استغلته بقساوة وببرودة أعصاب. إذن فات الأوان الآن لقول الحقيقة له، تأخرت كثيراً ولم يعد للأمر أهمية. لم يعد يريدها في حياته، وبكل ما بوسعه أوضح لها ذلك.

شقتها كانت مؤجرة على أساس شهري، ولأول أسبوعين من

انفصالهما عاشت في فندق بانتظار اخلاء المستأجرين. الطلاق كان في الوقت الحاضر مستحيلاً لقصر المدة التي أمضياها معاً. ولكنها تلقت رسالة مختصرة من مارتن يبلغها فيها انه بالرغم من رفضه المطلق لرؤيتها إلا أن الولدين يرغبان في هذا، لذلك، وإذا شاءت، سيدبر أمر قضائهما نهاية الأسبوع معها.

ولم تتوهم ويلما مطلقاً انه يفعل هذا لأجلها، بل لأجل الولدين فقط. وابتلعت ريقها، وتساءلت كيف تقبلا غيابها يا ترى. هل ظنا أنها مثل أمهما قد رفضتهما؟

وتاقت لأن تتصل بهما، أن تكلمهما، ولكن كبرياءها لم يسمح لها. لن تسمح لمارتن أن يتهمها بالتأثير على الولدين من خلف ظهره. حتى أنها رفضت الكلام مع لورين على الهاتف، فهي لا تريد أن تشرح أو تختلق أعذاراً لشقيقته، قد تتعارض مع أي شيء قد يكون قاله لها.

الشيء الوحيد الجيد الذي حصل لها هو خروج روزي من المستشفى. وأخفت عنها ويلما خبر الافتراق، فلم ترد أن تسبب لشقيقتها أي إثارة. وتعللت بتعطل الهاتف كي لا تتصل بمنزل مارتن. ولحسن الحظ كانت روزي مشغولة جداً بشؤونها فلم تفكر بقطع هاتف مهندس زراعي مسؤول عن مساحات شاسعة من الأراضي.

أول نهاية أسبوع أمضتها وحيدة قضتها في الانتقال إلى شقتها والتي كانت قد أجرّتها مفروشة. ولأول مرة منذ مغادرتها منزلها الزوجي، استطاعت أن تنام لساعتين متتاليتين دون قلق.

صباح الأحد، رن جرس الهاتف، فجلست تحدق بالسماعة

لعدة لحظات قبل أن تلتقطها. بطريقة ما عرفت أن المتصل مارتن، عندما سألها إذا كان بإمكان الولدين قضاء النهار معها وافقت فقال:

ـ سأحضرهما حوالي الساعة الحادية عشرة صباحاً وآخذهما ثانية عند السادسة.

صوته بارد حتى أن أي فكرة كان يمكن أن تخطر لها بمحادثته ماتت قبل أن تولد. وشاهدت سيارته تصل عبر نافذة غرفة نومها، ولكنها لم تنزل إليهما، بل راقبته وهو يرشدهما عبر الردهة وانتظرت إلى أن طلباها عبر الهاتف الداخلي. وهي تشغّل جهاز التحكم بالباب لتدعهما يدخلان، شاهدته ينطلق بسيارته. ألمها البائس كان قد أصبح في اليومين الماضيين أكثر حدة، يذكرها بما فقدته.

وبدا لها أن الولدين مكبوتين، فشقتها صغيرة عليهما بالفعل، ومع أن الطقس رائع للخروج إلا أن المرجة المرتبة لم تكن تشجع لشدة جمالها أحداً للعب فوقها.

طوال بعد الظهر تجنبت ويلما أي حديث قد يقود للحديث عن مارتن وعن الأسباب الكامنة وراء تحطم زواجهما، ولكن قبل موعد وصول والدهما بنصف ساعة، روس، والذي كان منطوياً على نفسه وهادىء، رمى بنفسه بين ذراعيها وأخذ يبكي بمرارة، وأخذ يقول بمرارة:

ـ لماذا لا تعودين معنا؟ لقد افتقدناك. المنزل كريه من دونك يا ويلما. لما تركتنا يا ويلما؟

كيف لها أن تفسر لهما الأمر دون ذكر والدهما؟

وفي النهاية كل ما استطاعت فعله هو أن تحتضن روس بقوة، ودموعها تبلل شعره الأسود، وهي تفكر بطريقة لتفسير المستحيل،

وتابع بقوة، بعد أن جذب نفسه من بين يديها وهو يفرك عينيه بيده النحيلة.

ـ لأنك لم تعودي تحبيننا؟

ـ لا... بالطبع لا... لا زلت أحبكما كلاكما، كثيراً كثيراً.

ـ لأنك لا تحبين أبي؟

كانت قد تركت النافذة مفتوحة بسبب حرارة الجو، ولم تكن أبداً سعيدة لسماع صوت سيارة مارتن. وألمها جداً أن ترسلهما إلى والدهما، وأن تتجاهل توسلاتهما لها بمرافقتهما. ولكن ماذا بإمكانها أن تفعل؟ ومع ذلك فقلبها لم يكن راغباً في ملامة مارتن. فقد يكون من الصعب عليه أن يشرح لهما الأمر بنفس الصعوبة التي تلاقيها.

الأسبوع الثاني من فراقهما مرّ بنفس العذاب والألم كالأول تماماً. الطعام والنوم كانا أمراً مستحيلاً في حالتها هذه، وعلمت أنها بدأت تفقد الكثير من وزنها. بشرتها وشعرها فقدا حيويتهما الصحية. وكل ما هو جيد من الأمر كله أنها استطاعت أن تعمل قليلاً على كتابها. عندما كانت تعمل كانت تتمكن من التوقف عن التفكير بمارتن... أحياناً لنصف ساعة، ولكن مثله مثل كل مخدرات الألم، تأثير العمل آني فقط.

يوم الجمعة أجبرت نفسها على الخروج لشراء بعض الأغراض الضرورية ومن طعام لنهاية الأسبوع تحسباً لزيارة الولدين. وكان الهاتف يرن وهي تدخل شقتها، ورمت مشترياتها، وأسرع لتلتقط السماعة.

- ويلما؟

مجرد سماع صوته جعل دقات قلبها تدق كالطبول.

- نعم؟

- أريد أن آجيء لأراك، الليلة إذا أمكن. علينا بحث بعض الأمور.

- أجل.

- سأحضر حوالي السابعة مساءً، وأليس ستجالس الولدين.

ولم يذكر أمر جليهما معه لرؤيتها عند نهاية الأسبوع، وتقلص جسدها كله متألماً لاعترافها لنفسها بأنه سيجيء ليقول لها انه لم يعد راغباً في أن تراهما. فقد كان روس منزعجاً جداً في الأسبوع الماضي، على كل الأحوال هما ولداه وليسا ولديها.

وصل مارتن قبل السابعة بقليل، ومع انها كانت تنتظر تلك اللحظة طوال اليوم ويفارغ الصبر، فإنها، وقد وصل، أحست انها لن تكون قادرة على رؤيته.

ومع ذلك أدخلته، وتراجعت إلى الوراء لتترك له المجال للدخول وليسبقها إلى غرفة جلوسها الصغيرة.

وعرضت عليه الشراب، وراقبته وهو يهز رأسه بالرفض ويقول بصوت أجش:

- لا... شكراً.

ولم يجلس، بل تقدم ليقف قرب النافذة، وظهره إليها، يداه مدسوستان في جيبي بنطلونه، منظر جسده كله يفضح مدى توتره، واستطاعت ويلما أن تتصور كم من الصعب عليه رؤيتها في وقت

يكرهها فيه إلى هذا الحد.

سألته بصوت هادىء بعد مرور عدة لحظات صمت مقلقة، دون أن يقول لها شيئاً:

- لماذا أتيت لرؤيتي يا مارتن؟ هل يتعلق الأمر بالولدين؟ لقد كان روس متكدراً جداً الأسبوع الفائت.

صوتها عبر عن ألمها، فاستدار إليها، ينظر إليها بعينين قاسيتين. صوته متجهم وهو يقول بخشونة:

- لقد قررت إرسالهما إلى مدرسة داخلية بعد انتهاء العطلة. يبدو لي أن هذا أفضل حلّ.

وشاهد على وجهها تعبيرات العذاب فابتسم وتابع دون إشفاق:

- كان عليك التفكير بكل هذا من قبل يا ويلما.

ولسعتها مرارة كلماته، وتاقت لأن تنظر إليه وتؤذيه كما أذاها، وقالت:

- تماماً كما كان عليك أن تفكر بهما بدل إعطاؤك كل حبك لأمهما.

وضحك بخشونة:

- كل حبي ...؟ ياإلهي ... من أين لك هذه الفكرة؟ لقد توقفت عن حب أمهما، هذا إذا كنت قد أحببتها، لحظة أدركت كم كانت تختلف عن المثال الذي وضعته لها بكل غباء. أنت من تتكلمين؟ وماذا عن روجر ديكس؟

وبوصولها إلى نقطة الانفجار قالت له بغضب:

- لآخر مرة أقولها لك ... روجر لا يعني شيئاً لي ولم يكن

أبداً. أنا أكرهه وأحتقره وهكذا كنت دائماً، لهذا السبب قلت له إنني سأتزوجك كجزء من اختبار. أردت أن أخترق كبرياءه واعتزازه بنفسه ليعرف كم يعني لي.

- إذن، أنت لم تتزوجيني لأجل استخدام علاقتنا كمادة بحث؟

- لا . . . بالطبع لا. فأنا بشر، وأنت تعرف يا مارتن.

كانت تصرخ من ألمها لاستجوابه لها بهذا الشكل ولم تستطع معرفة ما فائدة كل هذا لهما الآن وتابعت:

- لقد تزوجتك للأسباب التي قلتها لك يومذاك. ولم يخطر ببالي ولو لقليل إنني بدخولي مثل هذا الزواج قد أستطيع التأكد مما إذا كنت على حق بادّعاء أن الزواج ينجح ويدوم بدون أن يكون مبنياً على أساس عاطفي، أو حب. ولكنني لم أتزوجك لهذا السبب. لماذا أتيت لتراني؟ إنني تعبة حقاً. وحتى الآن قلت لي ما لم تستطع قوله عبر الهاتف. ولكنني أتمنى بأن لا ترسل الولدين إلى مدرسة داخلية.

- هناك طريقة واحدة لتجنب هذا.

كان ظهره إليها مجدداً، ولكن وجهه كان بادياً لها جانبياً، وراقبته ببؤس والعضلات الرقيقة تتحرك على فكه . . . وسألته بصوت منخفض:

- كيف؟

- إذا وافقت على الرجوع.

كان هذا آخر شيء تتوقع سماعه . . . ولم تستطع أن تستوعب واقع أنه بعد تلك الطريقة التي طالبها بها بالخروج من منزله، هو الآن يطلب منها العودة، إنها تعلم إنه يحب ولديه، بالطبع، ولكنها

لم تدرك ابداً إلى أي مدى ، وأحست بالألم والعطف معاً تجاهه وهي تحدق بظهره المتوتر.

- حسناً ويلما . . . ماذا سيكون ردك؟ هل ستعودين؟ إذا فعلت، فأنا مستعد لمراجعة كل شيء حدث، حتى واقع اكتشافي لك بين ذراعي روجر، وبالرغم عن كل ما قلتيه عن كراهيتك له.

فجأة شيء ما في داخلها ثار . . . ليطلق طوفاناً من المشاعر المريرة. وردت عليه بصوت متوتر:

- أوه . . . كم هذا كرم منك. ولكن قل لي يا مارتن، هل أنت على استعداد لاعادة النظر في واقع انني أحببتك ؟ فأنا أخشى بأنني وقعت في حبك، ولكن إذا لم تستطع . . .

وجاء دورها لترد له ظهرها. وهي تعرف أنه سيتركها الآن ويخرج. وأنه الآن قد لا يرغب في عودتها لتعيش معه تحت سقف واحد وقد قالت له الحقيقة.

وأحست بالصدمة لتقدمه منها ووضعه يديه على كتفيها، ليديرها إلى مواجهته، وأمسك ذراعيها بقوة وأخذ ينظر إلى عينيها، مما جعل الغرفة تدور من حولها.

كان الاحمرار قد غطى وجهه، عيناه قاتمتان لدرجة انهما بدتا سوداوين زرقاوان. والعرق قد أخذ يتفصد منه، وصوته كأنه صرخة غير المصدق:

- ماذا تقولين يا ويلما؟

لن تتراجع الآن، وبعناد رفضت الاستسلام لبؤسها، فقالت بخشونة:

- أقول . . . لو عدت لأعيش معك سيكون هذا دون أي ادعاء يا

مارتن. فأنا أحبك. وأعترف أن الحب عاطفة لم أتوقع أبداً أن أحس بها، وبالكاد كنت أصدق انها موجودة بين الراشدين. لقد اقنعت نفسي خلال أبحاثي ومن ملاحظاتي الخاصة للحياة أن ما يدعى «الحب» ما هو إلا رغبة جسدية. ولهذا فهو لا يصمد أمام اختبارات الزمن. ولكنني أعترف بأنني مخطئة. وأنا لا أطلب منك أن تحبني في لمقابل، فأنا أعلم أن هذا مستحيل. ولكن إذا عدت فعلى شرط أنك تعرف مشاعري، لن أستطيع العيش في كذبة بعد الآن.

ـ ولا أنا...

الخشونة زالت من صوته. لتتركه فجأة قليلاً وكأنه جرح حنجرته:

ـ أنا لم آت إلى هنا لأطلب منك العودة بسبب الولدين. لقد أتيت لأنني «أنا» لم أستطع تحمل يوم آخر من دونك. لن تعرفي أبداً كم ندمت بمرارة لاستسلامي للغيرة من روجر. أردتك أن تنكري أنه يعني لك شيئاً، ولقد أردت هذا منك منذ أول يوم. لقد عرفت كم أنت مهمة في حياتي، ولكنني حاولت المقاومة، لقد اقنعت نفسي أنك تريدينه هو، وليس أنا، وأنك انما تستخدميني كبديل عنه.

فقالت ويلما هامسة وهي تحدق به:

ـ لا أستطيع تصديق هذا... لا أستطيع تصديق أنك أحببتني.

ـ لا تستطيعين؟ إذن ماذا أسمي كل هذا بحق الله؟

وبعنف مكتوم، لم تتوقعه ويلما منه، رفعها عن الأرض ليحملها بين ذراعيه واستطاعت أن تحس بارتجافه، أن تحس بمشاعره تثور في داخله وهو يعانقها بشوق وشغف.

قد تكون مرت عليهما لحظات أو ساعات وهما هكذا قبل أن

يتركها، جسدها أصبح خفيفاً فارغاً حتى أنها كادت أن تقع. وقال لها مارتن بنعومة:

ـ وإذا تجرأت وسميت ما بيننا مجرد رغبة، فسأقتلك... ويلما... ويلما...

وأعادها بين ذراعيه وضغط عليها إلى أن أخذت ترتجف وتشهق. ثم أدار وجهها نحوه ليطبع قبلات الحب والاحترام على وجهها.

هذه المرة تركها على مهل ثم قال لها:

ـ لن تعلمي أبداً كم كلفني مجيئي إلى هنا من ليال دون نوم. لقد عرفت اليوم أن الحياة من دونك ليس لها معنى وأن كل الآلام التي تحملتها في حياتي لا تقارن ببؤس حياتي دونك.

وهي تستمع إليه أدركت مدى الجهد الذي عاناه في مجيئه إليها، وكم تحمل من عذاب الرفض من زواجه الأول.

لو أنها بحاجة لتأكيدات على أنه يحبها حقيقة، فقد تلقتها. كان مستعداً لاذلال نفسه ليستعيدها وتحت أي شروط تضعها، تماماً كما كانت هي مستعدة للعودة. وتمتم:

ـ لقد كنا محظوظين... أنت وأنا... لتوفر هذه الفرصة أمامنا لحب بعضنا. وخاصة بالنظر للظروف المشؤومة التي التقينا فيها.

ـ صحيح... وهذا يشكل لي مشكلة... على الأقل بالنسبة لكتابي... فهل كان الحب سبب زواجنا أم نتيجته؟ هل كنا منجذبان إلى بعضنا البعض عندما التقينا أول مرة لدرجة أن كلينا أوجد أعذاراً للمضي في الزواج، أم أنه نما بعد أن تزوجنا؟

وأسكتها بفمه، ثم ابتسم لها وسألها بلطف:

ـ وهل الأمر مهم حقاً؟

فهزت رأسها:

ـ أبداً... ما يهم هو أن هناك ما يقال له «الحب».

ـ وهو موجود الآن وسيبقى إلى الأبد. هل تعلمين أن لورين الآن ستمتلىء فخراً بنفسها، أليس كذلك؟

ولكن بدا انه لم يكن يتوقع رداً، لأنه أخذها ثانية بين ذراعيه ليقول بطريقة أكثر إرضاء من الكلمات الحقيقة التي قالها لتوه:

ـ هناك حب وسيبقى إلى الأبد.

• • •

www.elromancia.com
مـــروريـــة